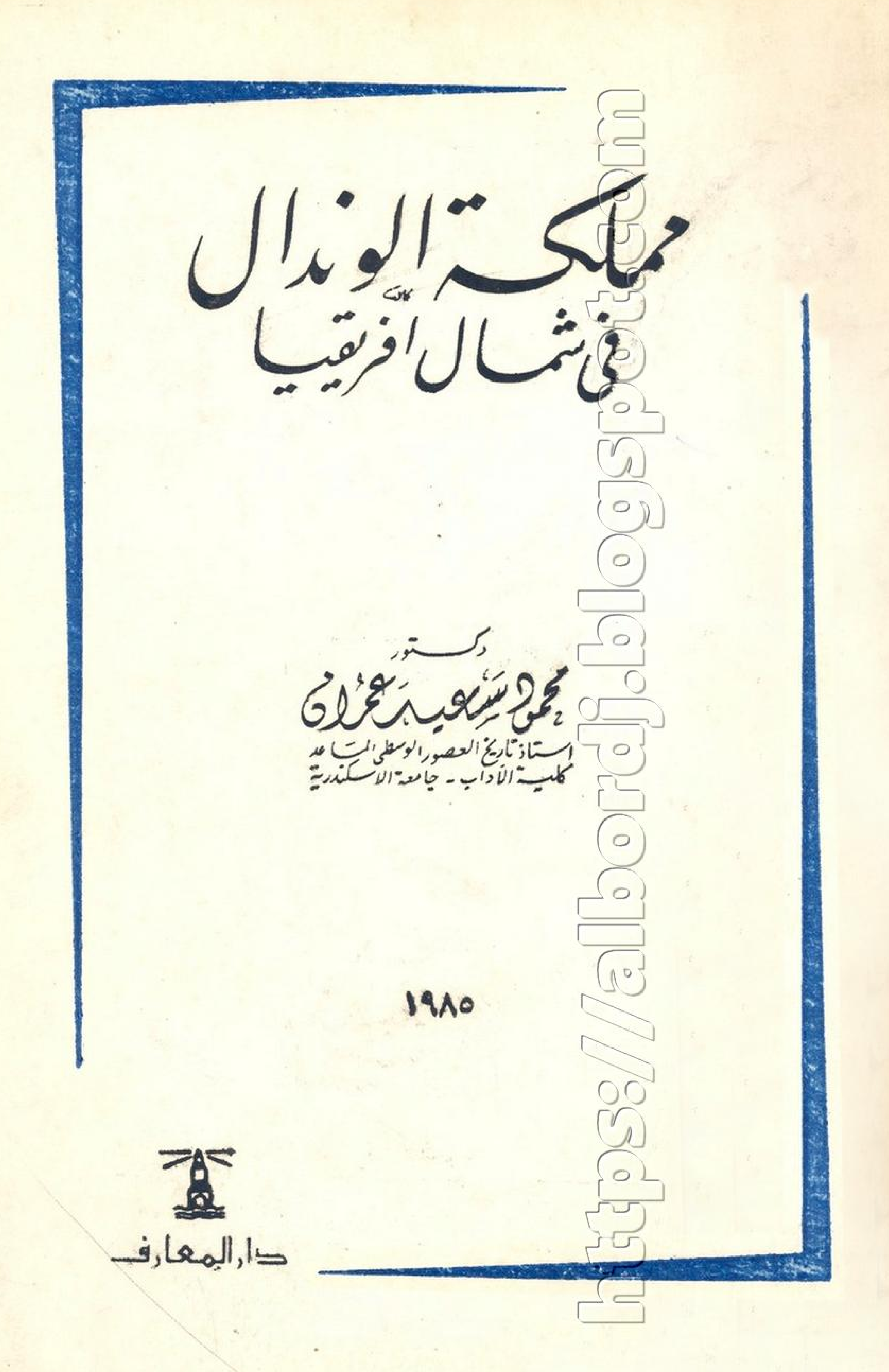

مملكة الوندال
في شمال أفريقيا
دكتور
محمود سعيد عمران
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
١٩٨٥
دار المعارف

مملكة الوندال في شمال أفريقيا

دكتور
محمود سعيد عمران
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٥



دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

موضوع هذا الكتاب هو مملكة الوندال فى شمال أفريقيا ٤٢٨ — ٥٣٤ م، والوندال جماعة من البرابرة أتو من نواحى بحر البلطيق إلى أسبانيا ثم عبروا المضيق إلى شمال أفريقيا فى عام ٤٢٨ م فى عهد ملكهم جيزريك Gaiseric ٤٢٨ — ٤٧٧ م . وقد ساعد الوندال على قيام مملكتهم فى الشمال الافريقى ظروف تتعلق بالوندال أنفسهم وبالامبراطورية الرومانية الغربية فى ذلك الوقت . وظلت دولة الوندال قائمة حتى عام ٥٣٤ م حيث إنتهى حكم الملك جليمر Gelimer . بعد نجاح الامبراطورية البيزنطية فى هزيمة الوندال ، وإعادة الشمال الافريقى كولاية مرة أخرى إلى حكم الامبراطورية .

وفيما يتعلق بالمنطقة التى حكمها الوندال والذى أطلق عليها المؤرخون فى العصور الوسطى إسم الشمال الأفريقى . هى المنطقة التى تمتد من مدينة طرابلس شرقا حتى مدينة سبتة غربا . ويلاحظ أن المؤرخين المعاصرين لأحداث هذه الفترة الزمنية كانوا يطلقون عليها إسم ليبيا وعلى سكانها إسم الليبيين . وتضم هذه المنطقة الآن كما هو معروف جانبا من ليبيا . وتونس ، والجزائر ، ومراكش .

ورغم إهتمام المؤرخين العرب بوجه خاص بالكتابة عن تاريخ العرب قبل الإسلام ،إلاأن معظم كتاباتهم إهتمت بشبه الجزيرة العربية وبعض نواحى المشرق العربى . وقد يرى البعض أن منطقة الشمال الأفريقى لم تكن عربية قبل الاسلام ، ولكن هذا قول خاطىء . فالفينيقيون العرب كانت لهم مدنهم على

هذا الساحل وأزدهر جانب من حضارتهم فى هذا الاقليم وعاشت سلالاتهم على هذه الارض من بعدهم . وقول آخر . ألم تهتم كل الدول بتاريخ المنطقة التى تعيش عليها الآن ، فالانجليز يهتمون بتاريخ البلاد منذ القدم . ولم تكن العناصر الانجليزية قد وطئت اقدامها الجزيرة بعد . والامريكيون وهم عناصر مهاجرة من أوربا تضرب فى بطون التاريخ ليصنعوا لانفسهم تاريخا قديما وإن كان تاريخ الهنود الحمر .

وعلى أية حال فهذه المنطقة منطقة عربية والإهتمام بتاريخها القديم والحديث واجب علينا نحن العرب وعلينا ان نستخلصه من بطون المصادر . وهناك مجموعة من المصادر تناولت تاريخ الوندال أو جانبا منه . وأهم هذه المصادر على الاطلاق هو ما كتبه المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس Procopius الذى عاصر جانبا كبيرا من الاحداث وكان شاهد عيان فى مراحل كثيرة . وأن ما سجله فى كتابه حرب الوندال The wandalic war يعتبر مادة من الطراز الأول أمدت الباحث بمادة تاريخية طيبة غطت جانبا كبيرا فى هذا الكتاب . بالاضافة إلى ما ورد فى بعض المصادر الأخرى التى وردت فى حواشى هذا البحث .

ولا يسعنى فى ختام هذه المقدمة الا أن أتقدم بعظيم الشكر لكل من تحدث عن مملكة الوندال فى ثنايا كتاباته ، والتى ألم بها الباحث وكانت عونا له فى إدراك الإطار العام لمملكة الوندال أو جانبا منها .

والله ولى التوفيق ،

اسكندرية فى ٩ فبراير ١٩٨٥ **محمود سعيد عمران**



تحركات الوندال فى أوربا

مع نهاية حكم الامبراطور ثيودوسيوس الأول Theodusius I (٣٧٩-٣٩٥ م) ، كانت العناصر الجرمانية قد سيطرت على جانب كبير من أوربا . فقد كان الفرنجة Franks مستقرين فى شمال نهر الراين ، ولم يكن الفرنجة جماعة موحدة فى هذه المرحلة ؛ فقد إنقسموا على أنفسهم إلى جماعتين ، الفرنجة السالبون Salians وكانوا متعاهدين فى هذه المرحلة مع الإمبراطورية الرومانية . وقد إتخذوا من الضفة اليسرى لنهر الراين (شرق بلجيكا حاليا) مستقرا لهم فى مرحلة لاحقة ثم إقليم غاله . والجماعة الثانية هى الفرنجة الربيون Ripuarians الذين أقاموا فى أواسط نهر الراين ثم تقدموا إلى الجنوب . وسوف تسيطر الفرنجة فى النهاية على إقليم غاله فى عهد ملكهم كلوفس Clovis (٤٨٢ — ٥١١ م) (١) .

وكان الوندال Vandals أيضا جماعتين . الوندال السلنجيون Silings فى إقليم سيليزيا Silesia ، ويبدو أنهم اشتقوا إسمهم من إسم هذا الاقليم . والوندال الاسدنجيون Asdings وهم الجزء الأكبر من الوندال ، وكانوا يعيشون فى أعالى نهر ثيس Theiss منذ نهاية القرن الثانى الميلادى (٢) .

وفى عام ٤٠١ م كان الوندال الأسدنجيون قد غزوا اقليم ريتيا Raetia المجاور لنهر ثيس ، وقد لحقت بهم عناصر الالمانى Alamanni الذين كانوا يعيشون فى بانونيا Pannonia ، كما لحقت بهم عناصر السويفى Suevians (٣) وتحرك الجميع فى مرحلة لاحقة إلى نهر المين Main .

ومع حالة عدم الاستقرار فى هذه المنطقة خاصة مع تحرك عناصر الهون

---

(١) Gregory of Tours, The History of Franks, p. 158.
(٢) Bury. History of The later Roman Empire, I, pp. 99—100.
(٣) Gregory of Tours, op. cit., p. 106.

Huns ، والقوط الشرقيين Ostrogoths ، تحركت هذه العناصر من الشمال إلى الجنوب ، وكانت عناصر الآلان Alans أول من وصلت إلى نهر الراين (١) . أما الوندال الأسدنجيون فكانوا تحت قيادة ملكهم جودجيزل Godegisel خلف عناصر الآلان . وقد تعرضت عناصر الوندال الاسدنجيين لهجمات الفرنجة الذين حاربوا من أجل حماية نهر الراين بصفتهم معاهدين للإمبراطورية الرومانية وعليهم الدفاع عن أراضيها . وفى هذه المرحلة قتل جودجيزل وأصبح الوندال الأسدنجيون على وشك الهلاك ، ولكن عناصر الآلان تدخلت فى هذه المعارك لصالح الوندال فتغيرت نتائج الحرب وانهزم الفرنجة ، وفى نهاية الامر تمكن الوندال الاسدنجيون والآلان من عبور نهر الراين (٢) .

كان أول ما قامت به العناصر المنتصرة هو سلب مدينة مينز Mains ، كما قتلوا العديد من الأهالى فهرب الاحياء وإتخذوا من الكنائس ملاذا لهم . وإتجهت هذه العناصر بعد ذلك وإتخذت طريقها إلى مدينة ترير Trier الواقعة على نهر الموزل Moselle وقاموا بأعمال السلب والنهب وأضرموا النار فى هذه المدينة . بعد هذه المرحلة واصل الوندال تقدمهم غربا وعبروا نهر الموبز Meuse ، وعقدوا العزم على التوجه إلى مدينة ريمز Reims حيث كان عليهم التوجه إلى الشمال . وفى هذه المرحلة سقطت مدن أميز Amiens ؛ وأراس Arras ، وتورنارى Tournary غنيمة فى أيديهم ثم تقدموا غربا حتى وصلوا إلى مدينة بولونى Boulogne الواقعة على القنال الإنجليزى ، ولكنهم لم يغامروا بمهاجمتها (٣) .

---

(١) Thompson, History of The Middle Ages, pp; 56—7.
(٢) Moss, The Brith of Middle Ages, p. 17.
(٣) Gregory of Tours, op. cit., p. 106.

وبعد هذا التحرك من الشرق إلى الغرب ثم إلى الشمال قليلا إتخذ الوندال الأسدنجيون ومن معهم من العناصر الأخرى طريقهم إلى الجنوب(١). وعبروا نهر السين Seine واللوار Loir حتى وصلوا إلى مقاطعة أكويتين Aquitaine ، ولم تصمد مدن هذه المنطقة كثيرا أمام هذه التحركات عدا مدينة تولوز Toulouse التى نجحت فى الوقوف أمام الوندال فى أول الأمر بفضل أسقف المدينة . ولكن الوندال قاموا بتقسيم أنفسهم إلى عدة جيوش وشنوا هجوما شديدا على المدينة حتى سقطت فى أيديهم ، وتعرضت المدينة وما حولها للرعب الذى ساد المنطقة . والمعروف أن الوندال كانت عناصر مخربة بطريقة متعمدة حتى جاءت كلمة الوندالية Wandalism معبرة عن ذلك (٢) .

بعد هذه الأحداث ولعله فى خريف عام ٤٠٩ م إتخذ الوندال الأسدنجيون تحت قيادة جندريك Gunderic . والوندال السلنجيون والسويفى والآلان . إتخذوا طريقهم إلى مدينة بوردو Bordeaux . ثم عبروا جبال البرانس إلى إقليم جالسيا Galicia (٣) .

وتصادف مع هذه التحركات أن أحوال الإمبراطورية كانت سيئة للغاية حتى إننا نرى فى بداية عام ٤١٠ م ستة من الأباطرة يتحكمون فى نواحى الامبراطورية (٤) . منهم ما هو شرعى ، وما هو غير شرعى معترف به فى جزء من أوربا . فإلى جانب الإمبراطور هونوريس Honorius ٣٩٥ - ٤٢٣ م الذى حكم الجزء الغربى من الامبراطورية متخذا من روما مركزا له ، نجد منافسا له يحمل إسم ثيودوسيوس وهو ابن عم الإمبراطور هونوريوس ،

---

(١) Kaegi, Byzantium and The Decline of Rome, p. 19.

(٢) Bury, op. cit., I, p. 192.

(٣) Gregory of Tours, op. cit., p. 106.

(٤) Kaegi, op. cit., p. 19.

كما كان هناك أتالوس Attalus في روما أيضا ، وقسطنطين Constantine وقسطانز Constans في مدينة آرل Arles . هذا بالاضافة إلى مكسيموس Maximus في مدينة تراجونا Tarragona الواقعة شرق أسبانيا (١) .

وقد عهد أحد هؤلاء الأباطرة وهو قسطانز إلى أحد قواده وكان يدعى جرونتيوس Gerontius بتولى أمر أسبانيا وتطهيرها من الوندال ومن دخل معهم من عناصر أخرى ، ولكن جرونتيوس لم يكن لديه الاستعداد الكافى لاخضاع الغزاة فهادنهم ، ووضع شروطا معهم استولوا بموجبها على العديد من الأراضى (٢) . وفى أغسطس من العام نفسه (٤١٠ م) سقطت روما على يد ألاريك Alaric (ت ٤١٠) زعيم القوط الغربيين Visigoths . وسيكون لذلك نتائج سيئة على الإمبراطورية كلها . فهى العاصمة التى لم يدخلها عدو منذ ثمانمائة عام (٣) . وهى المدينة التى اعتقد البعض أن سقوطها يعنى نهاية العالم (٤) .

لم يهنأ الوندال بهذا الوضع كثيرا . فقد قام القوط الغربيون بدور ضد الوندال لصالح الإمبراطور هونوريوس . وترجع هذه الأحداث إلى أن واليا Wallia زعيم القوط الغربيين فى هذه المرحلة (٤١٥ — ٤٢٠ م) إعتقد مثلما اعتقد سلفه ألاريك أن الشمال الأفريقى يعتبر المكان المناسب لاقامة دولة للقوط فى هذا المكان البعيد عن الامبراطورية (٥) . لذلك سار واليا فى عام ٤١٦ م إلى أسبانيا ، ولكنه أيقن أن القوط لا يمكنهم العبور إلى أفريقيا بعد ما تحطمت

---

(١) Bury, op. cit., I, p. 192.

(٢) Gibbon, The History of The Decline and Fall of the Roman Empire, II, pp. 401—2.

(٣) Robinson, Ancient History, p. 659.

(٤) Augustine, city of God, pp. 12, 20 ff.

(٥) Jordanes, The Visigothic Conquests, p. 71.

سفن القوط عند مدينة قادس Gades ، لذلك تخلى واليا عن فكرة العبور إلى أفريقيا ، وعن فكرة الحرب أيضا ، وآثر تسوية أمور القوط مع الامبراطور بالطرق الودية . فدخل فى خدمته (١) ، فأنعم عليه بلقب نائب الامبراطور .

ولعل أسباب هذا التحول أيضا ترجع إلى أن بلاسيديا Placidia ابنة الامبراطور الغربى هونوريوس كانت رهينة عند واليا (٣) ، وأن الإمبراطور كان يرغب فى التصالح مع واليا من أجل إسترداد أخته (٤) . وإنتهى الامر بعقد إتفاق بين الطرفين يقضى بقيام الامبراطور بإمداد القوط بحوالى ستمائة ألف مكيال من القمح مقابل عودة بلاسيديا . وعلى واليا إعلان الحرب على العناصر الجرمانية التى إستقرت فى أسبانيا ومنهم الوندال (٥) ، وتم تنفيذ المراحل الأولى من هذا الاتفاق فى مطلع عام ٤١٦ م . وعادت بلاسيديا إلى روما بعد ان قضت حوالى ست سنوات عند القوط (٦) .

إستعد واليا ملك القوط الغربيين للحرب ضد العناصر الجرمانية التى دخلت أسبانيا منذ حوالى سبع سنوات . فتقدم القوط داخل الاراضى الأسبانية وهى الأراضى الغنية بالقمح وغيره من المحاصيل ، بالإضافة إلى الذهب . والاحجار الكريمة . وواقع الحال أن العناصر الجرمانية كانت قد إستقرت فى العديد من المقاطعات الأسبانية ، فقد أقام للوندال السلنجيون تحت قيادة

(١) Lot, The End of the Ancient World and the Beginnings of the Middle Ages, p. 205.

(٢) Bryce, The Holy Roman Empire, p. 30.

(٣) Jordanes, op. cit., p. 72.

(٤) Duruy, op. cit., p. 21.

(٥) Gibbon, op. cit., III, p. 411.

(٦) Fisher, A History of Europe I, p. 114.

فردبال Fredbal في جنوب أسبانيا في المنطقة التي كانت تعرف باسم بيتيكا Beatica . كما إستقر الآلان تحت قيادة أداك Addac في المنطقة التي كانت تعرف باسم لوزيتانيا Lusitania الواقعة في غرب أسبانيا . كما أن السويفي والوندال الأسدنيجون عاشوا تحت قيادة ملك واحد هو جوندريك في الشمال الغربي من أسبانيا حيث المنطقة المعروفة بإسم جاليسيا Galleacia (١) ، اما المقاطعات الشرقية من أسبانيا فلم تكن تحت سيطرة أى من العناصر الاربعة (٢) .

بدأ واليا عملياته العسكرية بمهاجمة الوندال السلنجيون في الجنوب وقبل نهاية عام ٤١٧ م كان واليا قد إنتصر عليهم وأسر ملكهم فردبال وأرسله إلى الامبراطور . (٣) وعند هذه المرحلة فكرت بعض العناصر الموجودة في أسبانيا في عقد السلام مع الإمبراطور . وأن تعيش على الأرض التي إستولت عليها كمنحة من الإمبراطور . وقد أرسلت هذه العناصر سفارات إلى مقر الامبراطورية في رافنا Ravenna من أجل هذا الهدف . ولما كانت سياسية الامبراطور هونوريوس تهدف إلى إثارة الأحقاد بين هذه العناصر . فقد وافق الإمبراطور على بقاء الوندال الاسدنجيين والسويفي على الأراضي الأسبانية مع الإعتراف بأنهم معاهدين للإمبراطورية ، ولم يوافق على طلب الوندال السلنجيين والآلان ، وأخبر السفراء بأن بقاء هذه العناصر على الأرض الأسبانية أصبح أمرا غير مرغوب فيه . وخلال مرحلة إستمرت سنتان لم يتوقف واليا عن محاربة كل هذه العناصر ، ولم يستسلم الوندال السلنجيون رغم قتل عدد

---

(١) Lot, op. cit., p. 277.

(٢) Bury, op. cit., I, p. 203.

(٣) Lot, op. cit., pp. 205—6.

كبير منهم . كما قتل العديد أيضا من عناصر الآلان (١) ، واستطاعت بعض العناصر الفرار إلى جاليسيا وانضمت إلى الوندال الاسدنجيين (٢) ، وإنتهى الحال بأن أصبح جوندريك Gunderic ملكا على الوندال والآلان حتى وفاته عام ٤٢٨ م (٣)، ثم حمل هذا اللقب خلفاؤه من بعده .

(١) Lot, op. cit., p. 205.
(٢) Bury, op. cit., I, pp. 203—4.
(٣) Gregory of Tours, op. cit., p. 106.

غزو الوندال للشمال الافريقي

كان الشمال الافريقى تابعا للامبراطورية الرومانية ولم تصل اليه غزوات البرابرة لفترة طويلة ، ولكن محاولات ألا ريك ووالياً أظهرت أنه بالامكان الوصول اليه . وكان الوندال هم الذين قاموا بالمحاولة الثالثة . وقد نجحوا فى العبور إلى الشمال الأفريقى واتخذوا منه وطنا ظل أكثر من مائة عام .

وقد إتضح لنا فى الصفحات السابقة أن جانبا من الوندال قد إستقر فى جنوب أسبانيا وأن جوندريك أصبح ملكا على الوندال والآلان ، وقد نجح جوندريك فى السيطرة على ما تحت يديه من أراضى ، كما هزم مدينةقرطاجنة Gathagena (قرطاج الجديدة) ومدينة إشبيلية Hispalis . وأغار على جزر البليار Balearic . ويحتمل أنه أغار على بعض مقاطعات الشمال الافريقى القريبة من أسبانيا . وعند موت جوندريك عام ٤٢٨ م كان له والدان هما جيزريك وجونثاريس Gontharis وكان الأخير لايزال طفلا ، أما جيزريك فقد كان ذكيا وتمرس على إدارة شئون البلاد فى حياة أبيه (١) . وعند هذه المرحلة بدأت الاحداث فى أفريقيا تشكل جذبا متوقعا للوندال .

وحتى تتضح الأحداث التى واكبت عبور الوندال من أسبانيا إلى افريقيا نقول أن المرحلة من ٤٠٨ — ٤٢٣ قد شهدت إقامة مستوطنات للعناصر الجرمانية فى غالة وأسبانيا . وعندما توفى الإمبراطور هونوريس عام ٤٢٣ م تولت أخته بلاسيديا أمر الوصاية على ابنها فالنتنيان Valantinian من زوجها قسطنطيوس . وحمل فالنتنيان وكان فى الرابعة من عمره لقب قيصر من عام ٤٢٣ — ٤٢٥م(٢).ولقب إمبراطور وعرف باسم فالنتنيانالثالث من

(١) Procopius, II, The Wandlic war, p. 31.

(٢) Kaegi, op. cit., p. 20, Lot, op. cit., p. 202.

٤٢٥ — ٤٥٥ م . وفى المرحلة الأولى لحكمه تنافس ثلاثة من قادة الجند فى السيطرة على الموقف داخل الامبراطورية ، وهم آتيوس Aetius وبونيفاس Boniface وفليكس Felix (١) .

وما يعنينا فى هـــذه المرحلة آتيوس وبونيفاس فكلاهما كان يوصف بالشجاعة والخبرة فى الشئون الحربية التى لم تتوفر لغيرهما فى عصرهما على الأقل؛ ويمدنا المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس Procopius بالأحداث المتعلقة بهذا الموضوع ويقول أن بلاسيديا عينت بونيفاس قائدا على أنحاء ليبيا — أى ما يعرف بالشمال الافريقى فى هذه المرحلة وهى المنطقة التى كانت تمتد من الحدود المصرية الغربية حتى مراكش — وهو الأمر الذى أغضب آتيوس . ويضيف بروكوبيوس أنه بعد أن خرج بونيفاس من روما لتولى منصبه الجديد فى شمال افريقيا ،وشى بهآتيوس إلى بلاسيديا وذكر لها أنها عينت طاغية لحكم الشمال الافريقى لأن بونيفاس يخطط للسيطرة على الولايةالافريقية.وذكر لهاأيضاأن بامكانها التوصل إلى هذه الحقيقة إذا استدعت بونيفاس إلى روما واستجاب بونيفاس لهذه الدعوة . ومالت الامبراطورة بلاسيديا لأفكار آتيوس وأرسلت فى طلب بونيفاس . ولكن آتيوس كان أسرع من الامبراطورة وكتب إلى بونيفاس . وذكر له أن بلاسيديا والدة الامبراطور تتآمر عليه وأن هناك خطة لاستدعائه إلى روما . ولم يصدق بونيفاس فى بداية الامر ما وصل إليه من آتيوس . ولكنه تأكد من صدقه عندما وصل إليه طلب إستدعاء بلاسيديا(٢) ويرى البعض أن القائد فليكس هو الذى دبر هذه المؤامرة لأن آتيوس كان فى غالة فى هذه المرحلة (٣) .

---

(١) Bury, op. cit., I, pp. 240—1.
(٢) Procopius, op. cit., pp. 27—9.
(٣) Bury, op. cit., I, p. 245.

واذا كان ما تقدم هو جانب من الروايات حول هذه الاحداث فان ما ورد فى كتاب إدارة الامبراطورية يتفق ومضمونه مع ما كتبه بروكوبيوس(١) وتشير الاحداث المحيطة بعبور الوندال إلى افريقيا أن سلوك بونيفاس كان موضع شك وريبة منذ أن تولى القيادة العسكرية فى افريقيا . وأن خطابات القديس أوجسطين St. Augustine أسقف مدينة هيبو Hippo المعاصر لهذه الأحداث يلقى الضوء على جانب من الغموض الذى شاب سلوك القائد بونيفاس فى هذه المرحلة .

يقول القديس أوجسطين أن بونيفاس إتخذ له زوجة ثانية أريوسية المذهب وهى بلاجيا مارسيلينوس Pelagia Marcellinus . وكان فى هذا التصرف صدمة للقديس أوجسطين الذى كتب إلى بونيفاس بهذا الخصوص . وكان القديس أوجسطين يأمل أن تكون الأخبار التى وصلته غير حقيقية، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك . ويوجه اللوم إلى بونيفاس على مسلكه الخلقى ومعاشرته لنساء أخريات . وبالاضافة إلى ذلك يستطرد القديس أوجسطين فى تراخى بونيفاس فى قتال البربر Moors الذين ينهبون ويسلبون . وأن الاماكن التى كانت مأهولة بالسكان قد هجرت بسبب غارات البربر عليها . ويضيف القديس أوجسطين فى خطابه إلى بونيفاس قائلا . لقد توليت السلطة كحاكم على إفريقيا وعليك إخضاع البربر بالاضافة إلى الضرائب التى عليهم ان يدفعوها للامبراطورية ولكنك لم تفعل شيئا وخيبت أمال الناس (٢).

وسواء أكانت رواية بروكبيوس هى الصواب أو رواية القديس أوجسطين فلقد أصبح بونيفاس شخصا غير مرغوب فيه للبقاء حاكما على

(١) Constantine Porphyrogenitus, De Administrado Imperio. p. 105.
(٢) Augustine, Epistulae, no. 220.

الشمال الافريقى بعـــد أن بات ذلك واضحـــا للبلاط فى رافنـــا . والمهم أن الامبراطورة بلاسيديا أرسلت فى إستدعاء بونيفاس لمعرفة الحقيقة . ولكن بونيفاس رفض الذهاب إلى رافنا وناصب الامبراطورية العداء (١) . وعند هذه المرحلة أرسلت بلاسيديا جيشا كبيرا تحت إمرة ثلاثة من كبار قـــادة الامبراطورية إلى الشمال الافريقى فى عام ٤٢٧ م لمحاربة بونيفاس ولكنه انتصر عليهم وقتلهم . وعاودت بلاسيديا الكرة مرة أخرى وأرسلت فى العام التالى ٤٢٨ م جيشا إمبراطوريا تحت قيادة سيجيسفولت Sigisvult وهو قوطى الأصل للقضاء على بونيفاس . وقد نجحت قوات الامبراطورية إلى حد ما فى السيطرة على الموقف فى مدينة قرطاج ومدينة هيبو (٢) . وعند هذه المرحلة يأس بونيفاس من إحراز نصر على قوات الإمبراطورية وبحث له عن حليف لمساندته فى موقفه .

وجد بونيفاس فى الوندال ضالته المنشودة . فأرسل السفراء إلى أسبانيا يطلب مساعدة الوندال . وقد توصل السفراء إلى إتفاق مع الوندال يقضى بأن يتولى الملك الوندالى جيزريك واخيه جونثاريس وبونيفاس حكم الشمال الافريقى بواقع ثلث الأراضى لكل منهم . وإذا هوجم أحدهم من عدو فعلى الثلاثة أن يتحدوا معا ضد هذا العدو (٣) . وقبل جيزريك هذا الاقتراح الذى يعطيه ثلثى الشمال الافريقى لأن أخاه جونثاريس كان طفلا صغيرا . وتعهد بونيفاس بتقديم كافة الوسائل اللازمة لعبور الوندال إلى الساحل الافريقى(٤) . وبعد ذلك عبرت كل أمة الوندال والآلان إلى الشمال الافريقى فى مايو ٤٢٩م.

---

(١) Procopius, op. cit., p. 29.
(٢) Bury, op. cit., I, p. 245.
(٣) Procopius, op. cit., p. 31.
(٤) Bury, op. cit., I, p. 246.

ويقال أن تعداد من عبر من الوندال والآلان إلى الشمال الأفريقي كان ثمانين ألفا منهم خمسة عشر ألف محارب (١) . ولم يترك الوندال سوى إسم Andalusia (الاندلس) في جنوب أسبانيا وهو الاسم الذى ساد كل شبه الجزيرة تحت الحكم الاسلامى (٢) .

وتوجد آراء أخرى حول عبور الوندال والآلان . فهناك من يرى أن عملية العبور كان يجب ان تتم عام ٤٢٨ م ، ولكن غارات السويف على الممتلكات الوندالية أخرت هذا الهجوم حوالى عام ، كما يرى البعض أن المحاربين الوندال فقط هم الذين عبروا في بداية الأمر . ولم يعبر الشعب الوندالى إلى الشمال الافريقى إلا بعد سقوط قرطاج (٣). والباحث لا يميل إلى الاخذ بالرأى الأخير لأنه من الصعب ترك الأمة الوندالية كلها دون قوات تحميها خاصة أن السويف كانوا يتربصون بالوندال .

والمهم هنا أن الوندال والآلان بدأوا في العبور إلى الشمال الافريقى طبقا للاتفاق مع بونيفاس . ويبدو أن العبور تم من مضيق هرقل (جبل طارق) ، وعند هذه المرحلة قام أصدقاء بونيفاس في روما بالتوجه إلى الامبراطورة بلاسيديا وأخبروها أن سلوك بونيفاس لا يتفق مع ما نسب اليه . واقتنعت الامبراطورة بذلك وأرسلت إلى قرطاج بعض المقربين اليها لتقصى الحقائق ، وقد تقابل هؤلاء المبعوثون مع بونيفاس الذى أطلعهم على الخطاب الذى أرسله اليه آتيوس ، وعاد هؤلاء إلى رافنا وأخبروا الإمبراطورة بذلك . ولم يكن بوسع بلاسيديا أن تفعل شيئا ضد آتيوس لأنه كان يتمتع بنفوذ قوى داخل الامبراطورية فضلا عن المحنة التى تمر بها البلاد . وإذا كانت

(١) Julien, A., Histoire de L' Afrique du Nord, p. 266.
(٢) Freeman; Historical Geography of Europe, p. 91.
(٣) Bury, op. cit., I, p. 246 and n.2.

الامبراطورة بلاسيديا قد عرفت الحقيقة بعد فوات الأوان . فقد كان كل ما يعنيها فى هذه المرحلة كيفية معالجة الموقف فى الشمال الافريقى وعدم ترك الوندال يستولون على الولاية الافريقية (١) .

وعلى أية حال فمهما تعددت الروايات فالثابت لدينا الآن أن عبور الوندال إلى افريقيا كان بناء على طلب القائد بونيفاس ، وإذا كانت هذه الاحداث جعلت الإمبراطورية تلقى باللوم على قائدها بونيفاس . فان التاريخ بموجب هذه الاحداث يضع الملك الوندالى جيزريك بين القادة الجرمان فى عصره كرجل عظيم (٢) ، ولم يعد القائد المقاتل الذى إمتلك أرضا تفوق ما امتلكه غيره من أراضى ، بل أصبح السياسى المحنك الفريد من نوعه بين أقرانه الجرمان ، ورغم أن أمه كانت عبده وانه ابن غير شرعى (٣) . إلا ان ذلك لم يكن له أدنى تأثير عليه .

إن النجاح الساحق الذى اكتسبه جيزريك يجعلنا نلقى جانبا من الضوء على هذه الشخصية التى حولت مجرى تاريخ الشمال الافريقى . لقد ذكر لنا المؤرخون أن جيزريك كان متوسط الطول غير منتظم الخطا لوقوعه من على فرسه واصابته فى ساقه ، وكان راجح العقل مقلا فى الحديث . ولكنه كان مسرفا فى إحتقار أعدائه . كما أنه كان واسع الحيلة فى بذر بذور الشقاق وزرع الكراهية بين منافسيه . كما أنه كان سريع الغضب . ويشتهى ما يملكه الاخرون (٤) .

---

(١) Procopius, op. cit., p. 31.

(٢) Jordanes, op. cit., p. 71.

(٣) Procopius, op. cit., p. 29.

(٤) Gibbon, op. cit., III, pp. 475—6.

والمتتبع لتصرفات جنزريك يمكنه أن يصل إلى هذه النتائج ، فهو الذى أطلق العنان لرجاله فى الشمال الافريقى ليفعلوا ما يحلوا لهم ، كما أمدتنا الكتب التاريخية بجانب من سلوكه وسلوك الوندال معا ، فقد ذكر المؤرخون أن القوط فى اجتياحهم البلاد يعتبرون كالحمل بالمقارنة بالوندال الذئاب الذين صبوهم ، كما أن عامل السن أو الجنس لم يقف حائلا دون العذاب الوحشى الذى إتبعه الوندال لإجبار الأهالى على الاعتراف بالأماكن المخبأة فيها الاشياء النفيسة . كما أن الكنائس وما بها من أوعية مقدسة لم تسلم من أيديهم (١) .

وإذا ألقينا نظرة على الوثائق المعاصرة للاحداث وخاصة مراسلات رجال الدين ، نجد أن الاساقفة كتبوا إلى القديس أوجسطين يسألونه عما إذا كان من الصواب أن يسمحوا لسكان الشمال الأفريقى الذين يعتنقون المسيحية على المذهب الاثناسيوسى بالهرب من خطر الوندال . ويسألونه أيضا عما إذا كان بامكانهم ترك كنائسهم . وكانت إجابة القديس أوجسطين هو السماح للناس بالفرار . أما رجال الدين فعليهم ألا يغادروا كنائسهم (٢) .

كما لعب رجال الدين فى هذه المرحلة دورا كبيرا لحث العالم المسيحى على إنقاذهم من أيدى الوندال . فقد كتب كابريولوس Capreolus رئيس أساقفة قرطاج إلى المجمع الدينى الذى عقد فى مدينة إفسوس Ephesus (٢)، يونيه — ٣١ أغسطس ٤٣١ م) وفى هذا الخطاب الذى ارسل مع الشماس بسولا Bessula ونوقش فى الجلسة الأولى للمؤتمر ، يعتذر رئيس الاساقفة عن الحضور وعدم استطاعته إرسال أى اسقف من قبله بسبب الغزو الوندالى للشمال الافريقى (٣) .

---

(١) Bury, op. cit., I, p. 247.

(٢) Augustine, op. cit., no 228

(٣) Hefele, A History of the Councils of the Church, 111, p 52.

ولم يكن الخطر على الشمال الافريقى من قبل الوندال فقط ، بل كان أيضا من أتباع المذهب الدوناتى Donatists (١) من سكان الشمال الافريقى إنتقاما لما قاسوه من إضطهاد دينى من حكومة الامبراطورية فى السنوات السابقة (٢) ، وليس ذلك فحسب بل كان عبور الوندال إلى الشمال الافريقى عاملا مشجعا لقبائل البربر على نهب ما وقع تحت أيديهم ، كما أن بعض العناصر الجرمانية الأخرى فى أوربا قد تشجعت على مهاجمة أملاك الامبراطورية فى نواحى متفرقة (٣) .

والمهم أن البلاط فى روما اضطرب لهذه الاحداث . وكان عليه أن يتخذ بعض الخطوات العملية لمحاولة السيطرة على الشمال الافريقى ، خاصة أن قرطاج كانت تمد روما بالقمح . ولم يتأتى ذلك إلا باتحاد قوات الامبراطورية وإعادة ولاء القائد بونيفاس . وعهدت بلاسيديا إلى القائد داريوس Darius الذى كان يشغل منصبا عاليا فى البلاط الامبراطورى ، وكانت مهمته محصورة فى عقد الصلح مع القائد بونيفاس . وعقد سلام مع الوندال . وقد استطاع داريوس كسب ولاء بونيفاس كما أنه نجح فى وقف القتال مع الوندال لفترة محدودة . وقد هنأه القديس أوجسطين على ذلك (٤) .

لم يكن السلام بين الامبراطورية والوندال إلا هدنة مسلحة بين الطرفين ، فقد كانت الامبراطورية محتاجة لبعض الوقت لتنظيم قواتها . كما أن الوندال كانوا محتاجون الوقت للغرض نفسه ، كما أن جونثاريس قد مات فى هذه

---

(١) أسس دوناتس Donatus أسقف قرطاج هذا المذهب فى عام ٤١٥ م أنظر :
Lot, op. cit., p. 211.

(٢) Augustine, City, of God ,pp. XIII—XIV.

(٣) Lot., op. cit., p. 207.

(٤) Augustine, op. cit., 229 and n.2.

المرحلة أو قبل ذلك بقليل . وأن هناك من يقول أن الذى قتله اخوه جيزريك والبعض الآخر يقول انه قتل قبل العبور فى أحد المعارك (١) .

والمهم هنا أن بونيفاس تخلى عن إتفاقه مع الوندال وإنضم إلى صفوف الإمبراطوريةوندم على ما فعل ، ولما أحس الوندال بذلك أيقنوا أنهم خدعوا وبدأت المعارك تتجدد مرة أخرى . وكانت المعركة بالقرب من مدينة هيبو ريجيوس Hippo Reguis الواقعة فى إقليم نوميديا Numidia (٢).ويتضح من ذلك أن الوندال قد سيطروا على المنطقة الممتدة من مضيق هرقل حتى هذه المدينة التى لا تبعد كثيرا عن العاصمة قرطاج فى مرحلة المدنة التى عقدوها مع القائد داريوس .

وكان اكثر المتحمسين لحرب الوندال هو القائد بونيفاس ولكنه هزم وإنسحب بقواته إلى داخل مدينة هيبو ريجيوس . وقد أقام جيزريكمعسكره خارج المدينة وشرع فى حصارها . ولكن حصار المدينة طال وظل من شهر مايو عام ٤٣٠ م . ولم يرفع جيزريك الحصار الا فى يوليو عام ٤٣١ م (٣) .

وفى هذه المرحلة أرسلت الإمبراطورية الرومانية فى الغرب إمدادات عسكرية . كما أرسلت الإمبراطورية الرومانية فى الشرق (الامبراطورية البيزنطية) إمدادات أخرى . وتوحدت هذه القوات تحت قيادة القائد أسبار Aspar الآلانى الاصل . ووصلت هذه الامدادات إلى مدينة هيبو ريجيوس ودارت معركة رهيبة بين قوات الامبراطورية والوندال وإنتهت بهزيمة قوات

(١) Procopius, op. cit., p. 33.
(٢) Ibid. Loc. cit.
(٣) Gibbon, op. cit., 111, p. 484.

الامبراطورية . وإنتهى الأمر بعجز أسبار وبونيفاس عن الدفاع عن مدينة هيبو رجيوس فسقطت المدينة بعد قليل(١) .

وعند هذه المرحلة عاد بونيفاس إلى ايطاليا واستقبلته بلاسيديا إستقبالا حسنا . كما أنها عزلت آتيوس من منصبه عام ٤٣٢ م ، وسلمت القيادة العسكرية إلى بونيفاس ومنحته لقب بطريق Patrician . ولكن أتيوس رفض قرار عزله ، فقامت حرب أهلية فى ايطاليا . وتحارب الطرفان فى معركة قرب أريمينوم Ariminum الواقعة فى شمال الساحل الشرقى لايطاليا إلى الجنوب من رافنا بحوالى خمسة وثلاثين ميلا ، حيث دارت معركة إنتصر فيها بونيفاس . وإن كان قد مات بعد قليل . ولعل ذلك بسبب جرح أصابه فى المعركة (٢) . وعلى أية حال إستطاع أتيوس الفرار بعد الهزيمة إلى دالماشيا ثم توجه بعد ذلك إلى خيام صديقه روجيلا Rugila ملك الهون . وعن طريق روجيلا نجح آتيوس فى إملاء شروطه على بلاط الإمبراطورية وهى تأمينه من سباستيان Sebastian بن بونيفاس واستعادة لقب البطريق . وعودته إلى منصبه القديم . وتم له ذلك فى عام ٤٣٤ م (٣) .

والمهم هنا أن مدينة هيبو رجيوس قد سقطت فى يد الوندال وأن مدينتى قرطاج وسرتا Cirta ظلتا تقاوم جيزريك ، وأنه خلال الصراع بين آتيوس وبونيفاس على السلطة فى روما كان الوندال قد إنتهزوا هذه الفرصة ووسعوا غزوهم لاقليم نوميديا . ورغم نجاح جيزريك فى فرض نفوذه على جانب من الشمال الافريقى فانه كان على إستعداد لعقد سلام مع الامبراطورية خشية قدوم قوات إمبراطورية أخرى إلى الولاية الافريقية ، كما أن آتيوس وهو

---

(١) Procopius, op. cit., p. 33.
(٢) Bury, op. cit., I, p. 248.
(٣) Gibbon, op. cit., III, pp. 484—5.

الخبير فى حرب العناصر الجرمانية كان يرى أن قوات الامبراطورية غير كافية لطرد الوندال من أفريقيا ، وانه كان يرى مقاسمه الولاية الافريقية مع الوندال . وأن ذلك أفضل من فقدان الولاية بأكلها لأن الوندال قد تمكنوا من الأراضى التى فتحوها وليس هناك ما يحول بينهم وبين نصر جديد . وعلى أية حال فقد إنتهى الحال بعقد إتفاق بين الإمبراطورية والوندال . وقام تريجتيوس Trygetuis فى الحادى عشر من فبراير عام ٤٣٥ م . وهو مبعوث الامبراطور فالنتنيان بعد أن زالت الوصاية (١) . بهذه المهمة على أساس الأمر الواقع . بمعنى إحتفاظ الوندال بالأراضى التى استولوا عليها وهى موريتانيا وجزء من نوميديا . ويضيف بروكوبيوس أن الوندال قبلوا دفع جزية سنوية وأن جيزريك أرسل ابنة هونريك Honoric رهينة مقابل هذا الاتفاق . وأن هونريك عاد إلى أبيه بعد فترة وجيزة بعد ما توطدت الصداقة بين فالنتنيان وجيزريك (٢) .

---

(١) ولد فالنتنيان فى يوليو ٤١٩ م وبذلك يكون قد بلغ الخامسة عشر من عمره فى هذه المرحلة

انظر : Lot, op. cit., p. 202.

(٢) Procopius, op. cit., pp. 37—9.

إستقرار الوندال في شمال أفريقيا

لم يكن جيزريك حسن النية عندما عقد الهدنة مع الإمبراطورية فى عام ٤٣٥ م . بل كان يهدف من وراء ذلك إلى كسب الوقت ، وعندما شعر أن الوقت أصبح مناسبا لاستكمال سيطرته على الشمال الافريقى هاجم مدينةقرطاج عاصمة الولاية الافريقية وسقطت المدينة فى التاسع عشر من اكتوبر ٤٣٩ م . وكان لسقوط العاصمة فى أيدى الوندال دوى كبير فى أنحاء الإمبراطورية خاصة ايطاليا التى بدأت تشعر بقرب خطر الوندال ، لأن الملك جيزريك قد تمكن من بناء أسطول أصبح يهدد دول البحر المتوسط (١) . وسوف ينجح فى مراحل لاحقة فى السيطرة على جزر كورسيكا وسردينيا وصقلية ، ويهدد جنوب إيطاليا وروما (٢) .

إستعدت إيطاليا لحماية شواطئها وعهدت بهذه المهمة إلى القائد سيجيسفولت Sigisvult . كما تم إستدعاء القائد آتيوس وجيشه من غاله من أجل هذا الغرض . وإذا كانت أخبار الوندال قد أزعجت الغرب الاوروبى وجعلته يستنفر قواته للدفاع عن إيطاليا . فان بلاط القسطنطينية قد إنزعج ايضا ، وأخذ الامبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ – ٤٥٠ م) يعمل على إرسال الإمدادات إلى إيطاليا وعلى رأسها القائد آسبار Aspar لأن الخطر الوندالى أصبح يهدد أراضى الامبراطورية البيزنطية (٣) . كما انها كانت مهددة باخطار قبائل الهون فى هذه المرحلة (٤) .

---

(١) Zacharias of Mitylene, Chronicle, p. 36.

(٢) Thompson, op. cit., p. 59.

(٣) Gibbon, op. cit., III, p. 484.

(٤) عن قبائل الهون وتحركاتها راجع .

Ammianus Marcellinus, Chroicle, III, pp. 395 ff.

راجع أيضا : Vasiliev, History of Byzantine Empire, I, p. 122.

انزعج جيزريك من هذه الاستعدادات وكان عليه أن يقوم بعمل عسكرى يؤكد به قوته البحرية كما أكد قوته البرية من قبل . وفى الوقت نفسه ، فهو ليس بالقائد الساذج الذى يهاجم القوات المجتمعة فى إيطاليا فى معركة غير مضمونة النتائج . لذلك تحول إلى جهة أخرى وهاجم جزيرة صقلية وألقى الحصار على مدينة بانورموس Panormus الواقعة على الشاطىء الشمالى للجزيرة . ولكن المدينة قاومته فتحول إلى موقع آخر هو مدينةليليبيوم Lilybaeum الواقعة فى أقصى غرب الجزيرة وإستولى عليها. وعادالاسطول الوندال منتصرا إلى قرطاج (١) . بعد أن كبد الامبراطورية خسائرفادحة(٢).

إنزعجت حكومة القسطنطينية من هذه الأحداث وأخذت تستعدلمهاجمة الوندال والعمل على إستعادة قرطاج . وفى عام ٤٤١ م أبحر الاسطول البيزنطى ووصل إلى المحطة الأولى فى رحلته وهى صقلية . وقد إضطرب جيزريك لأخبار هذه الحملة ولكنه وجد أن المفاوضات أفضل من المعارك العسكرية فى هذه المرحلة . وطال أمد المفاوضات بين الوندال والإمبراطورية بفضل حيل جيزريك كسبا للوقت(٣).وخلال هذه المفاوضاتهددتالامبراطورية تحركات جرمانية اخرى قام بها الهون فى أوربا (٤) . ولعل تحركات الهون فى هذه المرحلة كانت بتحريض من جيزريك حتى يضطر الامبراطور البيزنطى إلى سحب قواته التى أرسلها لمحاربة الوندال .

وعلى أية حال . لقد تحرك الهون بقيادة أتيلا Attila (٤٣٣—٤٥٣ م)

---

(١) Bury, op. cit., I, pp. 254—5.

(٢) Foord, The Byzantine Empire, p. 38.

(٣) Bury, op. cit., I, p. 255.

(٤) Lot, op. cit., p. 207.

وعبروا الدنواب بالقرب من رافده مارجوس Margus ودمروا العديد من المدن ذكر البعض انها حوالى سبعين (١) . وعند هذه المرحلة لم يقم الإمبراطور بسحب قواته من الجبهة الوندالية فحسب ، بل أضطر لزيادة قيمة الجزية الى تدفعها الامبراطورية لقبائل الهون . هذا بالاضافة إلى تخلى الامبراطورية عن بعض الأراضى عند نهر الدانوب (٢) .

وما يعنينا فى هذا الموضوع هو أن الإمبراطورية البيزنطية إضطرت لسحب قواتها من الجبهة الوندالية (٣) . كما أن الهدنة التى عقدت بين الامبراطورية الغربية والوندال كانت فى صالح الأخيرة . وعرفت بمعاهدة عام ٤٤٢ م . وبموجب هذه المعاهدة أعيد تقسيم أفريقيا من جديد.واحتفظت الامبراطورية بمقاطعة تريبوليتانا Tripolitana (طرابلس) ومقاطعة موريتانيا سيتيفنسيس Mauretania Sitifinsis ومقاطعة موريتانيا سيزارنسيس Caesariensis . وجزء من نوميديا . بينما ظل الوندال ساده على باقى مقاطعة نوميديا . ومقاطعة بيزاسنا Byzacena . ومقاطعة بروكنسولار Proconsular أو زيوجيتانا Zeugitana حيث توجد العاصمة قرطاج . اما موريتانيا تنجيتانا Tingitana فلم تشر اليها المعاهدة لأنها كانت تابعة لأبرشية اسبانيا وليس إلى افريقيا (٤) . ولعل عدم إشارة المعاهدة إليها أن الوندال لم يستولوا عليها .

كان استقرار الوندال فى افريقيا ونجاحهم المطرد من الأحداث الجسام

---

(١) Foord, op. cit., p. 38.
(٢) Bury, op. cit., I, p. 273.
(٣) Duruy, op. cit., p. 24.
(٤) Bury, op. cit., I, p. 255.

التي عصفت بالامبراطورية (١)، فقد سيطر الوندال على جانب من المقاطعات الافريقية . وجاءت الفرصة للملك الوندالى لتوطيد مركزه فى الشمال الافريقى فى مرحلة لاحقة . وموجز هذه الاحداث أن القائد الامبراطورى آتيوس كان يرى أن العلاقة الطيبة مع جيزريك هى أفضل الوسائل للتعامل معه، حتى لا يكون للملك الوندالى - وهو القائد الطموح - فرصة لمهاجمة صقلية أو سردينيا أو ايطاليا نفسها . ومن هذا المنطلق أرسل آتيوس - بعد موافقة الامبراطور الغربى فالنتنيان - يعرض عليه زواج الابنة الكبرى للامبراطور وهى يودوكيا Eudocia من هونريك بن جيزريك (٢) . ويرى البعض أن هذه الفكرة قامت مع توقيع معاهدة ٤٤٢ م . ولكنها لم تدخل حيز التنفيذ لأن هونريك كان متزوجا من ابنة ثيودريك أحد زعماء القوط الشرقيين فى هذه المرحلة (٣) . وهنا نقف وقفة قصيرة لنوضح أن فكرة مصاهرة الوندال للامبراطور موضوع فى غاية الأهمية للامبراطور لأن ذلك يجنب الإمبراطورية خطر الوندال ويوقع بين الوندال والقوط فى خصومه لاشك أنها ستكون فى صالح الامبراطورية .

ومن جانب آخر وجد جيزريك أن مصاهرة الإمبراطور أهم من محالفة القوط ، ولم يبق سوى حجة لطلاق هونريك من زوجه القوطية فاتهموها بالتآمر على زوجها وعوقبت بصلم أذنيها وجدع أنفها وأرسلت على هذه الصورة إلى أبيها . وسوف يتم زواج هونريك من يودكيا ابنة الامبراطور

(١) Gibbon, op. cit., 111, 484.

(٢) Procopius, op. cit., 49.

(٣) Bury, op. cit., I, p. 256.

فالنتنيان فى مرحلة لاحقة (١) . وكان ذلك كافيا لقيام العداء بين القوط والوندال . ولجأ ثيودريك إلى حليف آخر وهو ريكار Rechiar ملك السويق وزوجة ابنة له فى عام ٤٤٩ م (٢).

وقبل الإنتقال إلى مرحلة أخرى نود الاشارة إلى أن معاهدة ٤٤٢ م لم تشر إلى امتياز امداد إيطاليا بالقمح الذى اعتمد عليه الرومان منذ قرون قبل هذه الاحداث (٣) . وليس معنى ذلك أن أفريقيا توقفت عن إمداد ايطاليا بالقمح ، ولكن يمكن القول أن الوندال استمروا فى إمداد إيطاليا بالقمح . والجديد هنا أن الوندال قدموا القمح كسلعة لسكان ايطاليا مقابل سداد ثمنها وليس كضريبة مفروضة عليهم . وأصبح من الطبيعى على تجار القمح الونداليين أن يرسلوا إلى الأسواق الايطالية ما يفيض عن حاجة بلادهم (٤) . ويلاحظ أن المقاطعات الأفريقية السبع الوفيرة المحصول الممتدة من طرابلس إلى طنجة لم يسيطر عليها الوندال إلا بعد عام ٤٥٨ م (٥) .

والمهم هنا أن بعد هدوء الأحوال بين الوندال والإمبراطورية إتخذ الوندال من مدينة قرطاج عاصمة لهم ، وأصبحوا سادة على المناطق التى إستولوا عليها . ووضع السكان الاصليين فى هذه المنطقة فى درجة الاقنان . ومن ناحية أخرى فالمعروف أن الوندال كانوا يدينون بالمسيحية على المذهب الاريوسى . لذلك وقفوا موقفا عدائيا من المسيحيين أتباع المذاهب الاخرى وقاموا بطرد ثلاثمائة من الأساقفة وآلاف غيرهم من رجال الدين الذين كانوا

---

(١) Procopius, op. cit., p. 49.

(٢) Bury, op. cit., I, p. 256.

(٣) Gibbon, op. cit., III, p. 481.

(٤) Bury, op. cit., I, p. 356—7.

(٥) Lot, op. cit., p. 210.

أقل مرتبة من الاساقفة (١) . كما أعطيت الكنائس الخاصة بهم فى مدينة قرطاج لرجال الدين الأريوسيين. كما إعتبر الوندال إستقلالهم عن الإمبراطورية مناسبة هامة فى حياتهم ، وإعتبروا التاسع عشر من أكتوبر عام ٤٣٩ م وهو تاريخ سقوط مدينة قرطاج فى أيديهم بداية لتاريخهم الخاص (٢) .

وفى مجال تنظيم دولة الوندال فقد أعفيت كل الاراضى التى امتلكها الوندال من الضرائب ، أما الأراضى التى تركت فى أيدى أصحابها السابقين من الرومان فقد فرضت عليها ضرائب كبيرة حتى أصبح لا يتبقى لملاكها إلا القليل ، وعوقب بالنفى أو القتل عدد كبير من السكان بتهم من أنواع مختلفة . وعانى أهل البلاد الكثير (٣) .

وفيما يتعلق بتنظيم الجيش الوندالى يقول بروكوبيوس لقد اصبحت القوات الوندالية والآلانية كلها تحت إسم واحد وهى القوات الوندالية . وقسم الجيش إلى ثمانين فرقة ، وكان عدد كل فرقة حوالى ألف . وعلى ذلك يمكن القول ان عدد القوات الوندالية كان ثمانين ألفا ، وهناك من يقول ان تعداد الوندال والآلان كان حوالى خمسين ألفا . ولعل تزايد العدد إلى ثمانين ألفا كان فى مرحلة من المراحل تأتى بعد إستقرار الدولة وتزايد عددهم حتى يمكن الوصول إلى هذا العدد (٤) .

ومن الجدير بالذكر فى هذا الموضوع أن الوندال قد إمتلكوا مواقع فى الامبراطورية لم يمتلكها أى عنصر من العناصر الجرمانية قبلهم ، وإذا جاز

---

(١) Gibbon, op. cit., p. 478.
(٢) Bury, op. cit., 1, p. 257.
(٣) Procopius, op. cit., p. 51.
(٤) Ibid, p. 53.

لنا أن نقول أن حدود الامبراطورية الشمالية كانت تقف عند نهر الدانوب، فانه يمكن القول أن الوندال قد داروا حول مؤخرة الإمبراطورية وأصبح بامكانهم مهاجمتها من الجنوب ، كما أنهم إستغلوا البحر المتوسط لصالحهم وهو ما لم تفعله أى دولة جرمانية من قبل ، ولعل ما قام به الوندال فى الجانب البحرى كان من العوامل التى شجعت السكسون وأمم الشمال على إستخدام السفن والبحث عن آفاق جديدة فى الجزر البريطانية (١) .

ولم يتوقف دور الملك جيزريك عند هـذا الحد بل أنـه حتى موت الامبراطور فالنتنيان عام ٤٥٥ م كان الأسطول الوندالى يقوم ببعض العمليات فى البحر المتوسط ، وفى العام التالى لموت الامبراطور فالنتنيان وهو عام ٤٥٦ نجح جيزريك فى السيطرة على مقاطعات موريتانيا دون مقاومة وكسب مساندة البربر له . كما نجح فى ضم جزيرة سردينيا Sardinia وكورسيكا Corsica و جزر البليار Balearic . ومع بداية الربيع قام جيزريك بغزوه على صقلية وإيطاليا وأسر وأهلك الزرع وسلب ما وقعت عليه يداه (٢) . والواقع أن هذه الغارات كانت تتم من وقت لآخر حتى خلت هذه الاماكن من سكانها ، وهنا تحول جيزريك والوندال إلى مهاجمة أماكن اخرى فى الامبراطورية وجانب من أراضى البلبونيز وبعض الجزر القريبة منها وعادوا بعد ما أسروا حوالى خمسمائة (٣).ويبدو أن خروج الاسطول الوندالى أصبح عادة حتى وإن لم يكن هناك هدفا محددا أو سبباً لخروج الاسطول ، ويقول بروكوبيوس

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع : Stephenson, Mediaeval History, pp. 118 ff.

(٢) Procopius, op. cit., p. 53.

(٣) Ibid, p. 189.

بأن الاسطول الوندالى كان ذات يوم معداً للابحار من ميناء قرطاج ، وسأل قائد لاسطول الملك جيزريك عن وجهة الاسطول فأجاب جيزريك ضد الذين يغضبون الرب (١) :

وانتاب جيزريك الغرور بعد هذا النجاح الدبلوماسي والعسكرى . وبدأ فى التعدى على حقوق الشعب الوندالى نفسه . وتتضح لنا إذا علمنا أن السلطة لدى العناصر الجرمانية كانت ممثله فى الشعب بأكمله . وعندما كونت هذه العناصر دولا مستقرة على اراضى الامبراطورية مثل الفرنجة والقوط . فان ملوك تلك الدول قد زادوا من سلطانهم ولكنهم لم يستحوذوا على السلطة بأكملها . أما فى دولة الوندال فقد تبدل الحال وضاعت التقاليد الجرمانية وأصبح لا يوجد بها غير حكومة الفرد . وبدا واضحا ذلك للنبلاء الذين إعتبروا إنفراد الملك بالسلطة اغتصابا لحقوقهم وتآمرا عليهم . وقد دفع ذلك النبلاء إلى الوقوف فى وجه الملك ، ولكن جيزريك قضى على هؤلاء النبلاء . وحل محلهم طبقة أخرى وهى الطبقة التى لم تأخذ مكانها بحكم مولدها ولكن بحكم تواجدها فى الخدمة الملكية . ومن ذلك يتضح أن السلطة الشعبية أصبح لا وجود لها . وليس ذلك فحسب بل إننا نلاحظ قبل موت جيزريك وجود قانون خاص بوراثة العرش . هذا القانون الذى منع الشعب الوندالى من حق الانتخاب ، وبذلك تأكدت إرادة الملك بكل وضوح . ولم يعترض أحد على ذلك ، وعوملت الدولة على انها إرث خاص محصور فى خليفة الملك وهو الإبن الأكبر عادة فى بيت جيزريك (٢) .

---

(١) Ibid., pp. 53—5.
(٢) Ibid., p. 73.

كما أن جيزريك لم يعط الحرية اضباطه وعاملهم بمنتهى الشدة . وحكم على بعضهم بالموت ، ولجأ جيزريك أيضا إلى محاولة التخلص من نفوذ الطبقة الاستقراطية الرومانية . ومن هذا المنطلق إستولى على ممتلكاتهم وطردهم خارج البلاد ؛ ومن قبل منهم البقاء عرواإلى منزلة العبيد . وعلى ذلك فان معظم أعضاء مجلس السناتو Senate قد أضطروا لترك الشمال الافريقى وأبحروا إلى إيطاليا أو إلى الشرق (١) . واعتبر جيزريك أن ما تم من إجراءات داخل العاصمة قرطاج وما حولها من أراضى . كفيل بحماية الجزء الأوسط من البلاد . ورادع لكل من تسول له نفسه الخروج على نظام دولة الوندال فى الأماكن الأخرى فى الشمال الافريقى (٢) .

واختلفت سياسة جيزريك عن سياسة الدول الجرمانية الأخرى . فقد اعتقد فى استقرار دولته على بعدها عن النفوذ الرومانى بقدر الامكان .ورأى فى امكان تنفيذ ذلك حماية المذهب الأريوسى الذى يعتنقه الشعب الوندالى . لذلك فرض جيزريك هذا المذهب على كل فرد . واضطهد كل ما هو غير أريوسى (٣) . وقد بدا ذلك واضحا بعد الاستيلاء على العاصمة قرطاج عندما تم القبض على الأسقف الدوناتى كودفولتديوس Quodvultedeus وآخرين ووضعهم على ظهر سفينة قديمة خربة وتركهم تحت رحمة البحر ولكنهم وصلوا سالمين إلى إيطاليا (٤) .

واستكمالا لموقف الملك الوندالى جيزريك من رجال الدين غير الاريوسيين

---

(١) Gibbon, op. cit., 111, p. 488.

(٢) Bury, op. cit., I, p. 258.

(٣) Gibbon, op. cit., III, p. 479.

(٤) Bury, op. cit., I, p. 259.

أمر جيزريك رجاله فى كل المقاطعات بطرد رجال الدين الكاثوليك والدوناتين ومصادرة أملاكهم (١) ؛ وحتى عام ٤٥٤ م لم يسمح لأسقف جديد أن يرسم فى قرطاج . وان كان قد تم فتح بعض الكنائس الكاثوليكية فى هذا العام ، وكان ديوجراتياس Deogratias أول أسقف كاثوليكى شغل هـــــذا المنصب بعد الغزو الوندالى ، ولكن هذا التسامح لم يدم طويلا ، فعندا مات ديوجراتياس عام ٤٥٧ م ، ناصب جيزريك الكاثوليك العداء مرة أخرى ، ولم يعين أسقفا آخر فى هذا المنصب ، وعزل الباقين من مناصبهم وأجبرهم على تسليم ما لديهم من مجلدات وأوعية مقدسة . ورغم هـذا كله فانالاضطهاد لم يشمل كافة أنحاء البلاد ، كما أن الأديرة لم تعامل هذه المعاملة (٢) .

---

(١) Gibbon, op. cit., III, p. 478.

(٢) Bury, op. cit., I, p. 479.

الوندال والإمبراطورية حتى وفاة جيزريك ٤٧٧ م

لى فالنتنيان مصرعه عام ٤٥٥ م ، ولم يكن له وريث من بيت ثيودسيوس .
فاعتلى عرش الامبراطورية فى الغرب بترونيوس مكسيموس Petronius
Maximus الذى خطط لمصرع الامبراطور انتقاما لشرفه . ولكن
مكسيموس لم يستمر على عرش الامبراطورية سوى شهرين ونصف (١٧
مارس — ٣١ مايو ٤٥٥ م) ؛ وكان مكسيموس قد أجبر الامبراطورة
يودكسيا Eduoxia على الزواج منه . وحتى تنتقم الامبراطورة لنفسها
ولزوجها أرسلت سرا إلى جيزريك الذى إستعد لغزو روما فى مايو ٤٥٥م ،
وقد وصل جيزريك بأسطوله إلى مصب نهر التيبر Tiber . وعند هذه
المرحلة قتل مكسيموس فى ظروف غامضة (١) . وأصبح الموقف فى روما
فى غاية الصعوبة (٢) .

وعند هذه المرحلة أيضا ظهر البابا ليو الاول Leo I (٤٤٠ — ٤٦١ م)
كرجل الساعة واتجه إلى بوابات روما فى الوقت الذى كانت تستعد فيه القوات
الوندالية لنهب المدينة . وكون البابا سفارة سلمية من رجال الدين وإتجه إلى
جيزريك . ورغم توسلات البابا للملك جيزريك . فان ذلك لم يثن الوندال
عن عزمهم فى سلب المدينة . وانتهى الأمر بأن تعرضت روما للسلب لمدة
أربعة عشر يوما . عاد بعدها الوندال إلى قرطاج وسفنهم محملة بكنوز روما
والآلاف العبيد . واصطحب جيزريك معه ايضا الامبراطورة يودكسيا وابنتها
يودكيا وبلاسيديا . وقد تزوج هونريك يودوكيا (٣) . وهو الاقتراح الذى
قدمه القائد آتيوس فى مرحلة سابقة . وشهدت الامبراطورية بعد ذلك وعلى

(١) Procopius, op. cit., p. 45—7.
(٢) McKillian, A chronicle of Popes, p. 54.
(٣) Procopius, op. cit., p. 49.

مدى عشرين عاما سلسلة من الحكام الضعاف حتى إنهارت الامبراطورية عام ٤٧٦ م (١) .

وخلال هذه الفترة التى أصبحت فيها الامبراطورية مزعزة الأركان خلف مكسيموس على عرش الامبراطورية أفيتوس Avitus ٤٥٥-٤٥٦م . وهو من القادة الذين حاربوا إلى جانب آتيوس ، ولكن مدة حكمه القصيرة ومشاغله فى الغرب الاوروبى لم تجعله يلتفت إلى الشمال الإفريقى . وخلف أفيتوس الامبراطور ماجوريان Majorian ٤٥٧ - ٤٦١ م (٢) .

ويهمنا فى هذا الموضع اليقظة التى ميزت عهد ماجوريان ضد الخطر الوندالى . وهى نقطة تنبه لها الشعب الرومانى وعقد الآمال على ماجوريان لاستعادة الشمال الأفريقى ، وكان ماجوريان عند حسن ظن شعبه وبدأ يعمل على وضع الخطط لمهاجمة الوندال فى عقر دارهم (٣) .

ومع هذه اليقظة أدرك ماجوريان إستحالة غزو الشمال الافريقى دون أسطول قوى . وبدأ الإمبراطور فى إعداد مثل هذا الأسطول ونشط الناس فى قطع الاشجار والعمل فى الترسانات من أجل هذا الهدف . وفى نهاية الأمر إستطاع ماجوريان أن يبنى أسطولا من حوالى ثلاثمائة سفينة حربية كبيرة . بالاضافة إلى سفن النقل وبعض السفن الصغيرة ؛ وتجمع هذا الاسطول فى مدينة قرطاجنة الأسبانية لأتساع ميناء هذه المدينة من جانب . وللتمويه على الوندال من جانب آخر . وكان هذا العمل كفيلا برفع الروح المعنوية بين

---

(١) La-Mont, The World of the Middle Ages, pp. 41—2.

(٢) Kaegi, op. cit., p. 31—32.

(٣) Gibbon, op. cit., IV, p. 24.

قوات ماجوريان وأوحى لهم بأن النصر قريب . وإذا جاز لنا أن نصدق المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس ، فقد ذكر أن شجاعة الامبراطور ماجوريان وجرأته قد فاقت الحدود . وأن اهتمامه بالقضاء على دولة الوندال دفعه إلى المغامرة بالسفر إلى الشمال الأفريقي ليرى بنفسه قوة الدولة الوندالية ويتعرف على سلوك ملكها جيزريك ، ويقف على مدى الصداقة أو العداء بين البربر وأهل البلاد الاصلية تجاه الحكم الوندالي والامبراطورية (١) .

ولم يثق ماجوريان إلا في نفسه ليتولى القيام بهذه المهمة لذلك إستعد للسفر إلى قرطاج باعتباره مبعوث الامبراطور إلى الملك جيزريك وانتحل لنفسه إسما مستعارا . وصبغ شعره الأشقر باللون الأسود حتى لا يتعرفون عليه وسافر ماجوريان وتقابل مع جيزريك . ولم يمدنا المؤرخ بروكوبيوس بنوع المهمة الرسمية التي تقابل بها ماجوريان مع جيزريك ، ولم يخبرنا إلا عن زيارة ماجوريان لمخزن كبير للسلاح برفقة جيزريك (٢) .

وعلى أية حال فان صحت هذه الرواية فيكون ماجوريان قد لمس بنفسه الوضع الوندالي في العاصمة قرطاج . وقد عاد ماجوريان إلى بلاده ليواصل إستعداده لإستعادة الشمال الأفريقي . والمهم هنا أن جيزريك علم باستعداد ماجوريان لحرب الوندال . ويبدو أن الوقت لم يكن في صالح جيزريك ، فبدأ بعرض الصلح على الامبراطور اكثر من مرة والح في طلبه لدرجة ان الذين لا يعرفون سلوك جيزريك صدقوا حسن نيته ، ولكن ماجوريان رفض

---

(١) Procopius, op. cit., p. 65.

(٢) Ibid., p. 331.

كل هذه العروض واتبع المبدأ القديم الذى يقول بأن روما تظل فى خطر طالما بقيت قرطاج خارج سلطانها (١) .

واصل ماجوريان إستعداده على نطاق واسع . وأحسن إعداد الأسطول الذى تجمع على الساحل الأسبانى الشرقى عام ٤٦٠ م (٢) . ولكن كل هذا المجهود قد ضاع هباء لأن بعض الحاقدين على ماجوريان أبلغوا جيزريك بهذا الاستعداد وأرشدوه إلى مواقع الأسطول . ويبدو أن خطة ماجوريان كانت تنحصر فى تحرك الجيش الامبراطورى البرى تحت قيادته والسير به من قرطاجنة حتى أعمدة هرقل (جبل طارق) . ويعبر المضيق إلى الشمال الافريقى ومنه يسير شرقا إلى العاصمة الوندالية قرطاج(٣). التى يصل إليها الأسطول الإمبراطورى فى الوقت المناسب .

أسرع جيزريك بمفاجئة الأسطول الإمبراطورى الذى كان موجودا فى هذه المرحلة فى خليج قرطاجنة وأغرق وأحرق من السفن ما إستطاع وإستولى على ما تبقى سليما من هذه السفن . كما هاجم أيضا ترسانات الإمبراطورية فى مواقع مختلفة (٤) . ولعل جيزريك قام بضرب هذه الترسانات حتى يطمئن إلى عدم قيام الامبراطورية بالاستعداد فى وقت قريب لمهاجمة الشمال الافريقى . والحقيقة التى لا خلاف عليها أن استعدادات ماجوريان لغزو أفريقيا التى دامت ثلاث سنوات ضاعت بضربة واحدة من الاسطول الوندالى على يد جيزريك (٥) .

---

(١) Gibbon, op. cit., IV, p. 27.
(٢) Bury, op. cit., I, p. 331.
(٣) Procopius, op. cit., p. 67.
(٤) Bury, op. cit., I, 332.
(٥) Gibbon, op. cit., IV, p. 27.

أدرك ماجوريان أن الانتصار على الوندال ليس أمرا سهلا وأن الأمر يحتاج إلى إستعدادات ضخمة تحتاج إلى وقت طويل فضلا عن انها غير مضمونة النتائج . لذلك وافق على طلب الصلح الذى جدده جنزريك بعد تحطيمه للاسطول الإمبراطورى . ولم يعش ماجوريان كثيرا بعد هذه الأحداث فقد أثر فشله فى ضرب الوندال كثيرا على مركزه كإمبراطور ، كما كان هناك بعض المستفيدين من الخلل الذى إنتاب الإمبراطورية وحاول ماجوريان إصلاحه . ونجح سيد الجند ريكيمر Ricimer فى القبض عليه وأجبره على التنازل عن العرش ثم أعدمه فى أغسطس عام ٤٦١ م (١) . وقيل أنه مات متأثرا بمرض الدوزونتاريا (٢) .

إختل الوضع فى الإمبراطورية الغربية بعد موت ماجوريان وتحكم ريكيمر فى الموقف ونجح فى حمل مجلس السناتو فى التاسع عشر من نوفمبر ٤٦١ على تعين ليبيوس سفريوس Libius Severus إمبراطورا(٤٦١ — ٤٦٥ م)(٣). ولم يكن الإمبراطور البزنطى ليو الاول Leo I (٤٥٧ — ٤٧٤ م) راضيا عن ذلك . وبدا فى الأفق ظهور شخصيـــة أخرى لتتولى منصب الامبراطور . وتطلعت الانظار إلى إيجيديوس Aegidius قائد الجند فى غاله والذى كان يرجى منه أن يأتى إلى روما ليثأر لصديقه ماجوريان،ولكن إنشغاله بالقتال حال دون ذلك . كما كان هناكالقائدمارسلينوس Marcellinus الذى يتولى أمر الدفاع عن صقلية وهو منافس خطير للقائد ريكيمر ، وقد نجح الأخير فى رشوة قوات مارسلينوس وكانوا من الهون فغادروا صقلية

(١) Bury, op. cit., p. 53.
(٢) Procopius, op. cit., p. 69.
(٣) Kaegi, op. cit., p. 35.

ودخلوا فى طاعته . وعند هذه المرحلة غادر مارسلينوس صقلية إلى دالماشيا Dalamtia (١) ، التى كانت تحت حكم الامبراطور البيزنطى ليو (٢) .

والمهم هنا أن الخلل العسكرى الذى إنتاب صقلية أعطى الفرصة للوندال للاغارة على الجزيرة . وهى إحدى الغارات التى إعتاد الوندال القيام بها كل ربيع على الجزيرة (٣) ، ولم يكن بوسع ريكيمر مقاومة القوات الوندالية فأسرع بإرسال سفارة إلى جيزريك بهدف اقرار السلام مع الوندال . ولكن هذه السفارة فشلت فى مهمتها . وفى الوقت نفسه أرسل الامبراطور البيزنطى ليو سفارة إلى الملك الوندالى يحثه فيها على الجنوح إلى السلم ومراعاة صلة الدم التى قامت بين البيت الوندالى وبين بيت الامبراطور فالنتنيان بزواج هونريك بن جيزريك ويودكيا ابنة فالنتنيان (٤) . وعند هذه المرحلة ساوم جيزريك على جانب من أملاك الإمبراطورية كبائنه للأميرة يودوكيا ، فى الوقت الذى كان جيزريك قد أضاف إلى أملاكه مقاطعات موريتانيا وجزيرتى سردينيا وكورسيكا وجزر البليار (٥) .

وواقع الحال أن مطلب الملك الوندالى جيزريك قد فسر الكثير من الاحداث . فقد بدا وكأنه المدافع عن البيت الامبراطورى وأنه لم يهاجم صقلية باعتبارها من أملاك الامبراطورية إلا عندما ظهر منافسون للبيت الامبراطورى يتطلعون لعرش الامبراطورية . لذلك طالب جيزريك بأن

---

(١) Procopius, op. cit., p. 57.
(٢) Bury, op. cit., I, p. 332.
(٣) Procopius, op. cit., p. 53.
(٤) Kaegi, op. cit., p. 43.
(٥) Lot, op. cit., p. 211.

يتولى أوليبريوس Olybrius زوج بلاسيديا إبنة الإمبراطور فالنتيانوعديل هونريك بن جيزريك – عرش الامبراطورية (١) .

ظل العرش الامبراطورى شاغراً منذ وفاة سفريوس فى الخامس عشر من أغسطس ٤٦٥ م لمدة عام وثمانية أشهر . ومشكلة العرش الامبراطورى فى الغرب لم تحل . وفى حوالى فبراير عام ٤٦٧ قام جيزريك بالإغارة على منطقة البلبونيز وبعض الجزر الغربية منها (٢) .

وجد الإمبراطور ليو فى غارة جيزريك على هذه المناطق تهديدا كبيرا لمصالح الإمبراطورية فى الغرب وفى الشرق وتهديدا أيضا لحركة التجارة فى البحر المتوسط . ووجد أن الوقت قد حان لتحالف قوات الامبراطورية فى الشرق والغرب لمواجهة الوندال . وحتى تتم هذه المرحلة وجد الإمبراطور ليو أن تعين إمبراطور للغرب خطوة يجب أن تسبق هذا العمل العسكرى . وقد وقع إختياره على أحد رجال مجلس السناتو يدعى أنثيميوس Anthemius وكان من أسرة عريقة له ثروة طائلة حتى يساعده ماله هذا فى الحرب القادمة(٣). هذا بالاضافة إلى أن هذا المرشح هو زوج ابنة الإمبراطور البيزنطى السابق مارقيان Marcian (٤٥٠ – ٤٥٧ م). وهذه نقطة لها دلالتها، لأنه ليس غريبا عن البيت الامبراطورى . ولعل كل هذه الصفات جعلت من أنثيميوس مرشحا مقبولا للعرش الامبراطورى فى الغرب فتولى عرش الامبراطورية فى الثانى عشر من ابريل ٤٦٧ – ٤٧٢ م . ولارضاء القائد ريكيمر وضمه إلى

---

(١) Procopius, op. cit., p. 57.

(٢) Ibid., p. 53.

(٣) Ibid., p. 57.

جانب الإمبراطور الجديد رشح للزواج من ابنة هذا الامبراطور (١) .

وكانت الخطوة التالية هي الاستعداد لمحاربة الوندال ، وكان استعدادا واسع النطاق . فقد جمع لهذا الغرض حوالى مائة ألف محارب . وجمع أسطولا ضخما لنقل هذه القوات إلى السواحل الأفريقية وكان فى جملتها سفن من شرق البحر المتوسط لعلها من مصر والساحل السورى . وقد بالغ البعض فى عدد قطع الاسطول وذكروا أنه كان من ألف ومائة وثلاثة عشر سفينة (٢) . واستعد الإمبراطور ليو للصرف بسخاء على هذه الحملة. ولسوء الحظ تولى أمر القيادة العامة لهذه الحملة قائد غير كفء هو القائدبازيلسكوس Basiliscus . وكان ذلك بتأثير أخته براين Brine زوجة الامبراطور ليو ، والقائد العسكرى أسبار Aspar (٣) . ويرى البعض أن أسبار كان يخشى من نجاح الامبراطور فى هزيمة الوندال فيسطع نجمه ويقوى على قواده لذلك ساند تعين بازيلسكوس الذى رأى فيه عدم المقدرة على قيادة مثل هذا العمل الكبير (٤) . يضاف إلى ذلك أن أسبار كان أريوسى المذهب ومتعصبا لمذهبه . لذلك لم يكن فى نيته ضرب دولة تدين بمذهبه (٥) . وهناك نقطة أخرى أثارت ثائره القائد ريكيمر ، وهى تعين منافسة للقائد مارسيلينوس قائدا للأسطول الإمبراطورى الغربى (٦) . وعلى ذلك يمكن القول أن الاستعدادات الضخمة التى أعدها الامبراطور ليو كان على رأسها قائد غير جدير بهذه المسئولية . وأن ريكيمر كان غير مرتاح لجانب منها .

---

(١) Bury, op. cit., I, p. 335.

(٢) Frood, op. cit., p. 43.

(٣) Procopius, op. cit., p. 55.

(٤) Bury, op. cit., I, p. 335.

(٥) Procopius, op. cit., p. 55.

(٦) Bury, op. cit., I, p. 335.

لقد وضعت خطة متكاملة لهذه الحملة ، قسمت الحملة بموجبها إلى ثلاثة أقسام لتهاجم الممتلكات الوندالية فى ثلاث أماكن . وقد تولى القسم الأول منها القائد بازيلسكوس وعليه أن يتجه مباشرة إلى قرطاج . أما القسم الثانى فتولى أمره القائد هرقل Heraclius وعليه الإبحار إلى طرابلس والاستيلاء عليها ومنها يتجه إلى قرطاج ليساند الجيش الرئيسى فى الاستيلاء على المدينة . أما الجزء الثالث الذى تولى أمره مارسيلينوس فقد إنحصرت مهمته فى التوجه إلى جزيرة سردينيا والاستيلاء عليها ويحرم قرطاج من مساندتها . ولقد نجح مارسلينوس فى مهمته وإستولى على الجزيرة كما نجح هرقل فى الاستيلاء على طرابلس . وترك سفنه بها وبدأ يتخذ طريقه إلى قرطاج (١) ، ولم يبق سوى وصول الأسطول بقيادة بازيلسكوس إلى قرطاج فى الوقت المناسب لوصول هرقل إلى المدينة .

وصل بازيلسكوس بقطع الأسطول الرئيسى إلى مدينة قرطاج ولكنه لم يهاجمها بل رسا على مقربة منها عند المكان الذى كان يعرف بأسم معبد هرمز Hermes . وهو مكان قريب من المدينة ولا يبعد عنه سوى مائتان وثمانون ستاد (حوالى ٥٧٠ متر) (٢) ويبدو أن هذا المكان كان جلنبا من مينا المدينة . ولكنه لم يهاجم قرطاج حسب الخطة المتفق عليها من قبل (٣) .

وألقى المؤرخ بروكوبيوس باللوم على بازيلسكوس . ووصفه بالجبن والتردد ، وأضاف أنه كان بامكان الاسطول البيزنطى الاستيلاء على مدينة

---

(١) Procopius, op. cit., p. 57.
(٢) Ibid., pp. 57—9.
(٣) Bury, op. cit., I, p. 336.

قرطاج فى غارة واحدة وإخضاع الوندال دون مقاومة . ويضيف بروكوبيوس أن التقارير وصلت إلى جيزريك تفيد سقوط طرابلس وجزيرة سردينيا فى يد القوات البيزنطية ، وأن جيزريك فوجىء بوصول الاسطول البيزنطى بعدد لم يشاهده من قبل . ولكن التردد أو خيانة القائد البيزنطى كانت السبب فى فشل الحملة (١) .

وهنا نتساءل حول موقف القائد بازيلسكوس ، فهل كان عدم مهاجمة المدينة يرجع إلى إنتظاره لقوات القائد هرقل القادم من طرابلس ؟ أو أن التقارير لم تصل اليه من سردينيا أو طرابلس بما أنجزته القوات البيزنطية وانه خشى عدم نجاحها لذلك لم يهاجم المدينة . ولعل فى ذلك أو فى جانب منه بعض الصواب . ولكن ما سجله بروكوبيوس حول هذه الأحداث يفسر الكثير . فقد روى أن جيزريك إستغل تردد الاسطول فى مهاجمة المدينة وسلح كافة رجاله بما يستطيع وملأ السفن بالمحاربين وأصبحت على أهبة الاستعداد (٢) .

ورغم هذا كله فلم يبادر جيزريك بمهاجمة الأسطول البيزنطى . ولعل ذلك يرجع إلى الاخبار التى وردت اليه من طرابلس ومن سردينيا أو أن إستعداداته كانت أقل من إستعدادات الاسطول البيزنطى . لذلك لجأ جيزريك إلى الحيلة كعادته فى مثل هذه المواقف . فقد أرسل مبعوثيه إلى بازيلسكوس وطلب منه عدم اللجوء إلى الحرب وإعطائه مهلة خمسة أيام كهدنه تكون فرصة للتشاور مع رجاله حول مطالب الإمبراطور ليو . وأرسل مع مبعوثيه كمية من الذهب إعتبرها بروكوبيوس ثمنا لهذه الهدنة . أو بعبارة

---

(١) Procopius, op. cit., p. 59.

(٢) Ibid, Loc. cit.,

أخرى على حد تعبير المؤرخ نفسه أنه باع الفرصة المناسبة بالمال لأنه إعتبر ذلك هو الطريق الأفضل ، وعلى ذلك ظل الأسطول البيزنطى قابعا فى مكانه فى إنتظار رد جيزريك (١) .

إستغل الوندال فرصة الخمسة أيام وزادوا من إستعداداتهم العسكرية ، وإستغلوا فرصة هبوب الرياح وأبحرت بعض السفن وإلى جانبها قاربان خاليان من البحارة . وعندما اقتربت السفن من الأسطول البيزنطى الذى كانت سفنه تقف إلى جوار بعضها أشعل الوندال النار فى القاربين ورفعوا أشرعتهما وتركوهما فاتجها بفعل الرياح إلى السفن البيزنطية واصطدما ببعضهما فحدثت خسائر كبيرة وإمتدت النار من سفينة إلى أخرى مما أدى إلى مزيد من الفوضى والضوضاء وهروب بعض البحارة البيزنطيين ومحاولة البعض الآخر إبعاد القاربين المشتعلين عن بقية السفن والسيطرة على الموقف (٢) .

ولم تقدم لنا المصادر التى تحت أيدينا مزيدا عن الأحداث المتعلقة بهذه لمعركة ولكنها ذكرت أن القائد هرقل الذى تولى أمر القوات فى طرابلس قد عاد إلى بلاده ، أما مارسيلينوس فقد لقى مصرعه على يد بعض الخونة . وفيما يتعلق بالقائد بازيليسكوس فقد عاد إلى القسطنطينية ولجأ إلى كنيسة أيا صوفيا St. Sophia (٣) . ومعنى ذلك أن بازيليسكوس قد أحس أنه أخطأ . وأنه أصبح تحت طائلة العقاب . وسوف يقضى فترة طويلة من حياته فى مدينة هرقلية (٤) . بعد ما شفعت له أخته الامبراطورة براين لدى زوجها .

---

(١) Ibid., p. 61.
(٢) Ibid., p. 63.
(٣) Ibid., Loc. cit.
(٤) Bury, op. cit., I, p. 337.

ولم يعد بازيلسكوس إلى القسطنطينية إلا بعد وفاة الإمبراطور ليو ، وظل ما فعله القائد بازيلسكوس وصمة عار تلاحقه طوال حياته (١) .

كان لفشل العمليات العسكرية ضد الوندال فى شمال أفريقيا آثارا بعيدة المدى على الإمبراطورية التى وضعت كل إمكاناتها فى هذه الحملة . فقد رفعت إنتصارات جيزريك من شأن دولة الوندال . كما تشجعت العناصر الجرمانية الأخرى على إنزال الضربات بالجانب الغربى من الامبراطورية ، وترتب عليها سقوط الامبراطورية فى الغرب بعد سنوات قليلة . وفى ختام هذه الاحداث يمكن القول أن نتائج هذه الحملة كانت لها نتائج سيئة على الامبراطورية البيزنطية . لأن الاموال الطائلة التى صرفت على هذه الحملة قد أثرت كثيراً على خزانة الإمبراطورية وأن إحتياطى الخزانة قد نفذ . وأن الخزانة ظلت تعانى من العجز لمدة ثلاثين عاما (٢) .

وعلى أية حال لم تقم حروب بين الوندال والإمبراطورية بعد عام ٤٦٨ م ، ويبدو أن العلاقات تحسنت بعض الشىء ، خاصة بعد توقيع معاهدة بين الإمبراطور زينون Zeon والوندال عام ٤٧٦ م (٣) . ثم ما لبثت أن سقطت الامبراطورية فى الغرب على يد أدواكر Odovacar ملك الهرول Heruls فى العام نفسه (٤) . ثم توفى جيزريك فى العام التالى ٤٧٧ م .

---

(١) Procopius, op. cit., p. 63.
(٢) Bury, op. cit., I, p. 337.
(٣) Procopius, op. cit., p. 71.
(٤) Paul The Deacon, History of the Lombards, p. 31.

مملكة الوندال بعد وفاة جيزريك

حتى بداية حملة جستنيان

٤٧٧ – ٥٣٣ م

مات جيزريك فى عام ٤٧٧ م أى بعد سقوط الامبراطورية بعام واحد بعد أن أسس دولة الوندال فى شمال أفريقيا وحكمها حوالى تسعة وأربعين عاما والتى ظلت منذ سقوط قرطاج حوالى قرن من الزمان . ولما كان النظام الوندالى يقضى بأن السلطة يجب أن تظل فى أكبر ابناء آل جيزريك سنا ؛ لذلك آل الملك إلى ابنه هونريك ٤٧٧ — ٤٨٤ م (١) .

ويلاحظ أن العلاقة بين دولة الوندال والدول الأخرى سارت على نحو طيب طوال عصر هونريك . ولعل ذلك يرجع إلى قصر عهده . أو أن سقوط الإمبراطورية كان له دورا كبيرا فى هذا الهدوء . لأن زوال الامبراطورية يعنى زوال ما أدعته باغتصاب الوندال للشمال الافريقى . وعلى ذلك فان الدول التى تحكمت فى جنوب أوربا فى هذه المرحلة هى دول جرمانية شأنها شأن الوندال . أى أن كل دولة منها اعتبرت نفسها متساوية فى الحقوق مع الأخرى . كما أن أحوال الإمبراطورية البيزنطية كانت فى وضع لا يساعدها على التفكير فى محاربة دولة الوندال بسبب مشاكلها الداخلية . ومن ذلك الصراع على السلطة بين الامبراطور زيون وبازيلسكوس (٢) .

وعلى أية حال فاذا كانت دولة الوندال قد آمنت شر الإمبراطورية فى الغرب بعد سقوطها . والامبراطورية البيزنطية لمشاغلها . فأن مشاكل الوندال قد أتت من قبل عناصر البربر فى الشمال الافريقى . ويرجع عصيان البربر فى هذه المرحلة إلى أن البربر كانوا يخشون بأس جيزريك . لذلك ظل الحال هادئا بين دولة الوندال والبربر طوال حياته ؛ ولكن البربر ثاروا وهاجموا

(١) Procopius, op. cit., p. 73.

(٢) Ibid., pp. 69—71.

الممتلكات الوندالية فى عهد خليفته هونريك . وقد سبب تمرد البربر ضررا كبيرا لهم وللوندال فى هذه المرحلة . فقد عامل هونريك البربر بمنتهى القسوة والشدة لردعهم . لذلك لجأ البربر إلى الجبال وأعلنوا الثورة على دولة الوندال ولم يتمكن هونريك من النيل من البربر فى هذه المناطق الجبلية . وتطالعنا المصادر أيضا بتعسف هونريك تجاه العناصر المسيحية غير الاريوسية . فقد حاول هونريك إجبار هذه العناصر على إعتناق مذهب الوندال وهو المذهب الأريوسى ، ولكن العناصر الأخرى رفضت الإنصياع لرغباته فعاملها هونريك بمنتهى القسوة وأعدم وأحرق البعض وقطع السنة البعض الآخر ، وقد هرب بعض هؤلاء إلى العاصمة البيزنطية على حد ما ورد فى المصادر البيزنطية (١) .

وبعد موت هونريك إعتلى جونداموند Gundamundus عرش مملكة الوندال ٤٨٤ — ٤٩٦ م . ويرجع إختيار جونداموند ملكا إلى كونه أكبر أعضاء أسرة جيزريك سنا . فلم يكن إبنا للملك الراحل هونريك ولكنه كان إبن أخيه جنزو Genzo . ولم يختلف حال دولة الوندال مع البربر فى عهده عن حال سلفه . فقد ذكرت المصادر أن حروبا عديدة قامت بين الوندال والبربر ولكنها لم تقدم لنا أية تفاصيل حول هذه الحروب . كما ذكرت المصادر أيضا أن العناصر المسيحية غير الاريوسية قد قاست الكثير دون ذكر تفاصيل ايضا (٢) . ولعل أهم ما يذكر من حروب بين الوندال وجيرانهم هو قيام جوندامونه بالهجوم على جزيرة صقلية التى كانت تابعة لدولة القوط

---

(١) Ibid., pp. 73—5.

(٢) Ibid., p. 75.

الشرقيين فى هذه المرحلة ، وقد نجح الأسطول الوندالى فى إنزال ضربة قوية بقوات القوط التى كانت تدافع عن الجزيرة (١) .

وقد تولى تراساموند Trasamund عرش مملكةالوندال (٤٩٦—٥٢٣م) بعد أخيه جونداموند طبقا لنظام الحكم الوندالى . وقد اختلف تراساموند عن سابقيه ، فقد كان رجلا عطاء حصيفا واسع الفكر .وقد عمل تراساموند على دعم المذهب الأريوسى بطريقة مختلفة . وذلك بمنح الألقاب الشرفية والمناصب والأموال لمن يتحول إلى المذهب الأريوسى كل حسب وضعه الاجتماعى . ويضيف المؤرخ بروكوبيوس أن العناصر غير الأريوسية التى لم تتحول عن مذهبها.فليس لديه معلومات عن المعاملة التى عوملوا بها . وقد إتبع تراساموند طرقا أخرى لتحويل المسيحيين إلى المذهب الاريوسى ،وذلك إذا إرتكب شخص غير أريوسى جريمة كبيرة سواء بطريق العمد أو الخطأ . فقد يصدر حكما بالعفو عنه إذا قبل التحول إلى المذهب الاريوسى (٢) .

وقد تزوج تراساموند فى عام ٥٠٠ م من أمالافريدا Amalafrida أخت ثيودريك Theoderic ملك القوط الشرقيين (ت ٥٢٦ م) (٣) . وقد دعم هذا الزواج مركز تراساموند بين دول الغرب الاوروبى فى هذه المرحلة . لأن ثيودريك نفسه كان قد تزوج من أخت كلوفس Clovis ملك الفرنجة (٤٨٢ — ٥١١ م) (٤) . وعندما سافرت أخت ثيودريك إلى قرطاج ذهب معها ألف من القوط كحرس خاص لها ، ثم تبعهم حوالى خمسة

---

(١) Bury, op. cit., II, p. 124.

(٢) Procopius, op. cit., pp. 75—7.

(٣) ~~Ammianus Marcellinus~~, Cronicle, III, p. 551.

(٤) Bury, op. cit., I, p. 461.

آلاف من المحاربين . كما قدم ثيودريك مدينة ليليبيوم — التي امتلكها القوط عام ٤٩٠ م — بائنة لزواج أخته (١) .

وفيما يتعلق بعلاقة البربر والوندال خلال حكم تراساموند فقد قاسى الوندال الكثير من هجمات البربر . لأن هجمات البربر كانت قد أصبحت أشد من المراحل السابقة ، وقد قدم لنا بروكوبيوس معلومة طيبة تتعلق بالحرب بين البربر والوندال ،وذكر أنه كان يوجد زعيما للبربر في نواحي طرابلس يدعى كابون Cabaon . وكان هذا الزعيم خبيرا بالحروب ثاقب الفكر ، ولما علم كابون بأن الوندال يستعدون لمحاربته طلب من رجاله أن يضبطوا أنفسهم ويتقشفوا في حياتهم . ثم أقام معسكرين أحدهما للرجال والآخر للنساء. وفي الوقت نفسه أرسل جواسيسه إلى قرطاج وطلب منهم أن يسيروا خلف القوات الوندالية وهي في طريقها إلى طرابلس . ولما كان الوندال يسيئون معاملة الأهالي أثناء سيرهم . فقد طلب كابون من رجاله أن يعاملوا الاهالي معاملة حسنة خاصة رجال الدين غير الاريوسيين ويصونوا أماكن عباداتهم . كما أمرهم ايضا بتوزيع الصدقات على المحتاجين . ولما أبلغ الجواسيس زعيمهم كابون بأن الوندال أصبحوا على مقربة منهم إستعد برجاله لمقاومتهم على النحو التالي . لقد أقام دوائر من الجمال بعمق أثني عشر جملا . ثم وضع الاطفال والنساء وغير القادرين على الحرب في منتصف هذه الدوائر ، وطلب من القوات المحاربة أن تختفي بين سيقان الجمال ويحموا أنفسهم بدروعهم . ولما كان الوندال غير ماهرين في إستعمال الرماح والنبال ، وأن اعتمادهم في المعارك على سيوفهم وهم على ظهور الخيول . لذلك عجزوا عن الالتحام مع البربر

(١) Procopius, op. cit., p. 77.

خاصة أن خيولهم قد فزعت من رؤية الجمال وعجزت عن التقدم إلى الأمام تجاه البربر . وعند هذه المرحلة بدأ البربر من مواقعهم بين سيقان الجمال فى رمى أعداد كبيرة من الرماح على القوات الوندالية فأصابت من الرجال والخيول الكثير . وسقط البعض أسرى ولاذ الباقون بالفرار ، بعد ما هزموا الوندال هزيمة لم يلقوها من قبل (١) .

وبهذه المعلومة التى قدمها لنا المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس التى إنتهت بهزيمة الوندال يمكن أن نستخلص منها طريقة حروبه البربر واستخدامهم الجمال فى معاركهم . كما تعرفنا أيضا بقدرات الوندال العسكرية فى مواجهة قوات البربر وطريقة حروبهم . وأن هذا دون شك سيفسر الكثير من الأحداث التالية . وعلى أية حال فقد حكم تراساموند كملك عظيم لدولة الوندال ، وأن حكمه تميز بصداقته مع الإمبراطور البيزنطى أنسطاس الاول Anastasius I (٤٩١ — ٥١٨ م) (٢) .

ومن ذلك كله يتضح لنا أن عهد تراساموند قد تميز بعدم معاداة العناصر غير الاريوسية . وأنه اكتسب صداقة القوط الشرقيين بمصاهرة ثيودريك ، وآمن الصدام مع الامبراطورية الغربية بعد سقوطها على يد أدواكر . وأنه كان صديقا للامبراطور البيزنطى أنسطاس ، وأن المشاكل التى واجهته كانت من قبل البربر المقيمين فى ضواحى طرابلس .

مات تراساموند بعد أن حكم دولة الوندال حوالى سبع وعشرين سنة وخلفه على العرش إلدريك Ilderic أو هلدريك Hilderic (٥٢٣ —

(١) Procopius, op. cit., pp. 77—83.

(٢) Ibid., p. 77.

٥٣١ م) كما تسمية المراجع الحديثة . والدريك هذا هو ابن هونريك بن جيزريك وحفيد الامبراطور فالنتنيان ، وقد تميز إلدريك بعدم معاداتهللعناصر غير الأريوسية على العكس من أسلافه ، كما كان حاكما مسالما غير محب للحروب . وكان الذى يتولى شئون الجيش هومر Hoemer وهو من العائلة الحاكمة ، وسمى أخيلس Achilles الوندال (١) .

وفيا يتعلق بعلاقة الوندال بالبربر فى هذه المرحلة فقدأورد بروكوبيوس معلومة صغيرة تفيد أن البربر بقيادة أنتالاس Antalas قد هزموا الوندال عند مقاطعة بيزاسيوم ولم يقدم بروكوبيوس تفاصيل عن هذه المعارك مثلما قدم لنا من قبل (٢) .

وتحسنت العلاقات إلى درجة كبيرة بين دولة الوندال والامبراطورية البيزنطية فى عهد الدريك ، ويرجع ذلك إلى أن الملك الوندالى كان صديقا حميما للإمبراطور جستنيان Justinian (٥٢٧ — ٥٦٥ م) قبل أن يصبح إمبراطورا . وكان لهذه الصداقة آثارا بعيدة المدى على أحداث العصر . بعض هذه الآثار يرجع إلى طبيعة الملك الوندالى المسالم وما ترتب على توقف الاضطهاد الدينى ضد العناصر غير الأريوسية فى الشمال الافريقى (٣) .

ومن هذه الآثار أيضا وبعد أن أصبح التقارب واضحا بين قرطاج والقسطنطينية قيام العداء بين القوط الشرقيين والوندال . وموجز هذهالاحداث أن أمالا فريدا ابنة ثيودريك وأرملة تراسلموند قد ظلت فى قرطاج بعدوفاة

---

(١) Ibid., p. 83.

(٢) Ibid., pp. 81—3.

(٣) Bury, op. cit., p. 85.

زوجها. وقد دعم وجودها هنا حسن العلاقات بين قرطاج ورافنا عاصمة القوط . ولكن تقارب إلدريك إلى الإمبراطورية البيزنطية قد أوقع إلدريك تحت تأثير الحكام البيزنطيين وتباعد الوندال عن القوط ،وتصاعدت الخلافات وانتهت باتهام أمالافريدا بالتآمر على الملك فألقى بها فى السجن (١) ، حيث ماتت . كما أعدم كل القوط الذين كانوا فى خدمتها (٢) .

وترتب على هـــذه الأحداث تحالف البربر فى شمال أفريقيـا مع القـوط الشرقيين فى إيطاليا ، ولعب القوط دورا كبيرا فى الثورات التى قام بها البربر ضد الوندال ، ويلاحظ عدم قيام القوط بعمل عسكرى ضد الطرف الآخر . لأن القوط كانوا غير قادرين على جمع أسطول للقيام بعمل إنتقامى ضد الوندال (٣) .

ورغم ما لاقاه إلدريك من متاعب على أيدى البربر والقوط . فانالمتاعب الرئيسية التى واجهها الملك الوندالى جاءت من قبل الوندال أنفسهم ومن أقرب المقربين اليه . وأسباب ذلك ترجع إلى أن إلدريك كان يتطلع لأنيجعل من دولة الوندال ولاية تابعة للامبراطورية البيزنطية بعد ما توطدت الصداقة بينه وبين الامبراطور جستنيان . وقد دخلت هذه المرحلة جانبا عمليا عندما أرسل إلدريك سفارة إلى القسطنطينية تعرض على الامبراطور جستنيان هذه الفكرة (٤) .

وعند هذه المرحلة ظهرت المعارضة فى دولة الوندال وتزعمها جليمر

---

(١) Procopius, op. cit., p. 85.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 158.
(٣) Procopius, op. cit., p. 85.
(٤) Ibid., p. 87.

Gelimer ابن عم الملك إلدريك (١) . وكان محاربا قديرا وصفه المؤرخ بروكوبيوس أنه الرجل الثانى بعد الملك وكان متوقعا أن يخلف الملك فى حكم الوندال ، ولكنه كان ماكرا ورجل مفاجآت . وقد تمكن جليمر من جمع نبلاء الوندال حوله عندما علم بالسفارة التى أرسلها إلدريك إلى جستنيان لوضع دولة الوندال الأريوسية تحت سيادة الامبراطورية الاثوذكسية . ونجح جليمر فى إقناع هؤلاء النبلاء بضعف إلدريك الذى هزم على يد البربر فى بيزاسيوم وسوء نيته فى وضع دولة الوندال تحت سيادته الامبراطورية البيزنطية ، وإنتهى الأمر بالقبض على إلدريك وبعض القادة الوندالين الموالين للملك وسجنهم ، وتولى جليمر حكم مملكة الوندال ٥٣٠ — ٥٣٤ (٢) . وإنتهى حكم إلدريك كملك على دولة الوندال فى التاسع عشر من مايو ٥٣٠ م(٣) .

علم الامبراطور جستنيان بهذه الأحداث فأرسل إلى جليمر مبعوثين ومعهم خطابا يلوم فيه الملك جليمر عن تصرفه تجاه إلدريك . وقد ورد فيه أن جليمر قد تصرف بطريقة غير شرعية وأنه قبض على ابن عمه إلدريك وسجنه وهو رجل مسن وضرب بكل دستور الوندال الذى وضعه جيزريك عرض الحائط . ويلوم جستنيان فى خطابه هذا الملك جليمر على تسرعه فى عزل إلدريك لأنه كبير السن وانه سوف يموت بين لحظة وأخرى . وأن العرش كان سيؤول إلى جليمر من بعده ، ويطالب جستنيان جليمر بإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه وسيكون لذلك أكبر التقدير والمحبة وعلى دوام الصداقة بين الامبراطورية ودولة الوندال (٤) .

---

(١) Zacharias of Mitylene, op. cit., p. 262.

(٢) Procopius, op. cit., p. 87.

(٣) Baker, Justinian, p. 74.

(٤) Procopius, op. cit., p. 87.

لم يلق مبعوثين جستنيان إستقبالا طيبا فى قرطاج ، كما لم تجد الكلمات التى أرسلها جستنيان إلى جليمر ، وكان تصرف جليمر تجـــاه المبعوثين البيزنطيين مخيبا لآمال الإمبراطور (١) . فقد عامل المبعوثين معاملة غير لائقة وأعادهم إلى بلادهم دون رد على رسالة الإمبراطور . ولم يكتف بذلك بل نفى إلدريك إلى مكان منعزل ومعه القائد هومر بعد أن سمل عينيه ومعهما أيضا يوجيس Euagees أخ هومر . وأعد العدة لمحاكمتهم بتهمة التخطيط للهرب إلى القسطنطينية (٢) .

عاد المبعوثون البيزنطيون دون إنجاز شيء . ورغم ذلك لم ييأس جستنيان ، ويبدو أن كل ما كان يعنيه فى هذه المرحلة حياة صديقه الملك المخلوع إلدريك ، لذلك جدد رجاءه مرة أخرى ولكن بصورة مختلفة عن الرجاء السابق (٣) . ويرى البعض أن طلب جستنيان هذه المرة لم يكن رجاء ولكنه كان شبه إنذار موجه إلى الملك جليمر (٤) .

وعلى أية حال أرسل جستنيان مرة أخرى إلى الملك جليمر ، وكتب فى رسالته إليه أنه كان يتمنى أن يعمل بالنصائح التى سبق أن أرسلها إليـــه الإمبراطور . وأضاف ايضا أنه إذا كان جليمر يريد السلطة فلتكن لـه ، وطلب منه أن يرسل إلدريك وهومر وأخيه يوجيس إلى القسطنطينية حتى يستطيع أن يعوضهم ما ضاع منهم ، وإذا لم يفعل ذلك فان الأمر سوف لا يمر بسلام . وذكر جستنيان إلى جليمر أنه لازال يأمل بأسم الصداقة تنفيذ

(١) Baker, op. cit., p. 75.

(٢) Procopius, op. cit., p. 89.

(٣) Baker, op. cit., p. 75.

(٤) Bury, op. cit., I, p. 126.

رغبته . وأن عدم تلبية هذا المطلب يجعله فى حل من المواثيق والعهود التى قطعتها بيزنطة على نفسها مع الحكام الونداليين السابقين ، وسيعلن الحرب على الوندال ويستخدم كل ما لديه من قوات (١) . وعلى هذه الصورة يكون ما وجهه جستنيان إلى الملك جليمر ليس رجاء ولكنه إنذاراً مصحوباً بالتهديد بالحرب فى حالة عدم الإستجابة لرغبات الامبراطور .

لم يقتنع جليمر بوجهة نظر بيزنطة . أو بمعنى آخر لم يلق بالا بهذا التهديد الذى أرسله جستنيان مع مبعوثيه . ولعل ذلك مرجعه إلى أن جليمر والنبلاء الوندال كانوا يرون أن إجابة جستنيان إلى مطلبه يعنى وضع مملكة الوندال تحت وصاية الامبراطورية البيزنطية (٢) . لذلك أرسل جليمر إلى الإمبراطور ردا ذكر فيه أن جليمر لم يستول على السلطة بالعنف . وانه لم يقم بعمل غير شرعى ضد عائلته . أما فيما يتعلق بالملك إلدريك فقد عزل من منصبه بمعرفة الشعب الوندالى لأنه خرج على القوانين التى وضعها جيزريك ، وفيما يتعلق بتوليه جليمر العرش فهذا مرجعه إلى كونه أكبر أعضاء بيت جيزريك سنا طبقا للقانون الوندالى . وأضاف جليمر قائلا : أنه من الأفضل للحاكم العادل أن ينظم المملكة التى يتولى حكمها . وألا يتدخل فى شئون الممالك الأخرى وان يترك حكامها وشأنهم . ومن ناحية تهديد الإمبراطور فكانت إجابة جليمر على هذه النقطة تفيد بانه إذا أعلن جستنيان الحرب على الدولة الوندالية فان الوندال سوف يقاومون العدوان بكل ما لديهم من قوة . وذكر جليمر أن أى تصرف من الإمبراطور يجب أن ينبثق من المعاهدة التى عقدها الامبراطور زينون مع جيزريك (٣) .

---

(١) Procopius, op. cit., 89.

(٢) Ibid, pp. 89—91.

(٣) Baker, op. cit., p. 76.

وسوف يتوقف الباحث عند هذا الخطاب الذى أرسله جليمر إلى جستنيان لمناقشة علة قضايا فى غاية الأهمية وردت بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، لأن هناك دلائل واضحة يريد الباحث مناقشتها . ودلائل أخرى غير واضحة يريد الباحث إبرازها . ومن هذه القضايا أن جليمر قد أرسل هذا الرد باعتباره ملكا على دولة الوندال للإمبراطور جستنيان . أى أن جليمر وضع نفسه فى موقف رئيس دولة يخاطب رئيس دولة . أن جليمر قد ذكر للامبراطور أن ما حدث داخل دولة الوندال من عزل ملك وتولية ملك طبقا للقانون هو مسألة داخلية ليس من شأن الإمبراطور الاعتراض عليها . وإلا يعتبر ذلك تدخلا فى شئون دولة أخرى . وأعتقد أن هذه النقطة فى غاية الأهمية بالنسبة للعلاقات الدولية . فى هذه المرحلة المبكرة من العصور . لازالت الدول الحديثة تحرص أشد الحرص على إبرازها فى المواثيق الدولية الحديثة . كما يفهم من خطاب جليمر أنه جعل للدولة الوندالية الحق فى الدفاع عن نفسها إذا ما تدخلت القوات البيزنطية وهاجمت الدولة الوندالية . وهى نقطة أيضا فى منتهى الاهمية بالنسبة للعلاقات الدولية تتمسك بها الدول الحديثة فى عصرنا الحالى . وأخيرا فان جليمر قد ترك الباب مفتوحا وذكر للإمبراطور بأن هناك معاهدة بين الإمبراطور زينون والملك الوندالى جيزريك ويجب إحترام هذه المعاهدة . وأن هذه المعاهدة وبنودها تكون حكما فى الخلاف الناشىء بين الوندال وبيزنطة . ومجمل القول انه إذا كان المؤرخون قد ربطوا إسم الوندال بالوندالية أى التخريب . فان ما ورد على لسان ملكهم جليمر فى خطابه إلى الامبراطورية جستنيان . وما ورد به من مبادىء تتعلق بالقانون الدولى لازالت الدول الحديثة تحرص عليها وتتمسك بها ، يعتبر شفيعا لهم عما

لارتكبوه من أخطاء فى مرحلة من تاريخهم المبكر . وكان على جستنيان وهو المشرع الذى ورث حكم الامبراطورية الرومانية أن يتفهم هذه المبادىء التى وردت فى خطاب جليمر ، ولكن الاحداث التالية دلت على عكس ذلك . وهنا يمكن القول أن جليمر قد تفوق حضاريا على الإمبراطور جستنيان فى هذه القضية .

إستعداد جستنيان لحرب الوندال

رأى جستنيان فى الأحداث التى وقعت داخل دولة الوندال فرصة لاستعادة الشمال الافريقى ، وكان يرى أن الحرب التى يزمع القيام بها ليست حربا عدوانية ، إنما هى القضاء على طغاة فى مقاطعات صمتت الامبراطورية على حقها فيها طويلا . ويجب إعادة هذه الأراضى لتكون تحت السيطرة البيزنطية (١) . ولم ينس جستنيان أهمية الشمال الافريقى للامبراطورية والقمح الذى يمد البلاد والضرائب التى كانت تحصل من هذا الاقليم (٢) .

كانت الحرب دائرة فى هذه المرحلة بين بيزنطة والفرس . ولم يكن بوسع جستنيان أن يحارب على جهتين فى وقت واحد . لذلك رأى الامبراطور وضع حدا للحرب الفارسية فعقد الهدنة فى ربيع عام ٥٣٢ م ليتفرغ للحرب الوندالية (٣) . وإذا كان جستنيان قد وجد فى تصرفات جليمر فرصة مناسبة للتدخل لإعادة الشمال الافريقى فكان عليه أن يعد الجيش المناسب والقائد الكفء الذى يثق فيه . وقد وقع إختيار الإمبراطور على القائد بلزاريوس Belisarius الذى كان يحارب على الجبهة الشرقية ضد الفرس فى هذه المرحلة (٤) . وبدأت الاستعدادات على قدم وساق لهذه الحرب ، وتحمس رجال الدين فى الامبراطورية لهذا المشروع الذى يرفع الاضطهاد الدينى عن اخوانهم من عسف الاريوسية (٥) .

وشرع جستنيان فى التشاور مع رجاله لإعداد الجيش المناسب للحرب

---

(١) Bury, op. cit., II, p. 126.
(٢) Finlay, History of Greece, I, p. 229.
(٣) Zacharias of Mitylane, op. cit., p. 261.
(٤) Procopius, op. cit., p. 91.
(٥) Bury, op. cit., II, p. 126.

المقبلة ، ويروى بروكوبيوس أن غالبية رجاله كانوا يعارضون هذا المشروع وتنبأوا له بالفشل، وتذكروا فى هذه المرحلة الفشل الذى لقيته حملة الإمبراطور ليو ، والأعباء المالية التى تحملتها الدولة وقيام جباة الضرائب بجمع الأموال التى صرفت على هذه الحملة ، بالاضافة إلى الجنود الذين ماتوا من أجلها . وكانوا يرون أن الحرب تحتاج إلى أموال باهظة وإلى أسطول أمدها، كما أن الرعب إنتاب القادة العسكريين والجنود أيضا خشية إنضمامهم لهذه الحملة . وكان أكثرهم انزعاجا العائدون من الحرب الفارسية الذين لم يستمتعوا بعد بالراحة فى ديارهم ، أضف إلى ذلك أن الحرب القادمة يدخل فى جانب منها حرب بحرية وهو أمر لم يألفه الجنود البيزنطيون فى هذه المرحلة(١). ولعل الخوف من مشروع هذه الحملة أيضا يرجع إلى أن الامبراطورية لم يكن لديها الأسطول الكافى للحرب المقبلة . وإفتقارها أيضا إلى القائد البحرى التى يستطيع قيادة أسطول والرسو به على أرض معادية (٢) .

وقف البعض موقف المتفرج إنتظارا لما تسفر عنه الأحداث . ولكن المعارضة وجدت فرصتها فى التعبير عن رأيها وكان على رأسها الوزير يوحنا القبدوقى John The Cappadocian الذى تقابل مع الإمبراطور وناقشه فى مشروع الحملة، وأوضح له أنه جاء اليه بدافع الإخلاص له وللإمبراطورية . وقد أوضح يوحنا فى حديثه مع الامبراطور مخاطر الحرب مع الوندال وأن نتائجها غير مضمونة ، وحتى إذا كانت نتائجها ستكون لصالح الامبراطورية فيكون مقابلها التضحية بالمال والرجال . وبين يوحنا طول خطوط الإمدادات

---

(١) Procopius, op. cit., p. 93.

(٢) Bury, op. cit., II, p. 126.

بين القسطنطينية وقرطاج من الجانب البرى . والمخاطر البحرية التى يتعرض لها الأسطول البيزنطى ، بالإضافة إلى صعوبة الاتصال من القسطنطينية بقيادة هذه الحملة خاصة أن إيطاليا وصقلية ليست تحت سيطرة الإمبراطورية . وأوضح يوحنا القبادوق بعد هذا كله أن الامبراطورية إذا نجحت فى هزيمة الوندال فليس هناك فائدة تعود على الإمبراطورية من هذا النصر . وأنه يجب أن يكون التخطيط سليما قبل أى عمل حتى لا نندم بعد فوات الأوان (١) .

ويرى البعض أن الأمبراطور لم يقتنع تماما بكلمات يوحناالقبادوق(٢)، ولكن حماسه للحرب قد إهتز بعض الشىء . ثم عاد وإقتنع تماما بضرورة محاربة الوندال تحت تأثير رجال الدين الذين أقنعوا الإمبراطور بأنه حامى حمى المسيحية ويجب عليه القضاء على الأريوسية والطغيان الدينى السائد فى شمال افريقيا (٣) . وفى نهاية الأمر لم يأخذ الامبراطور برأى المعارضة لأنه كان مقتنعا بعدالة القضية واعتقد أن السماء فى جانبه . كما أنه كان يثق فى جيشه الذى سيتولى أمره بلزاريوس (٤) .

ومن العوامل التى شجعت الإمبراطور على حرب الوندال الأحداث التى وقعت فى طرابلس وفى جزيرة سردينيا وكلاهما أراضى كانت تابعة لدولة الوندال . وفيما يتعلق بمنطقة طرابلس فقد ثار سكانها تحت قيادة بودنتيوس Pudentius أحد المواطنين فى المدينة وأعلنوا العصيان على الوندال ، وقد أرسل بودنتيوس إلى الإمبراطور جستنيان يطلب منه إرسال القوات

---

(١) Procopius, op. cit., p. 97.

(٢) Bury, op. cit., III, 127.

(٣) Procopius, op. cit., pp. 97—9.

(٤) Diehl, l'Afrique Byzantine, p. 7—8.

الإمبراطورية ، وذكر له أنه سوف يقدم لها المساعدة اللازمة للسيطرة على المنطقة (١) . ويلاحظ أن الملك جليمر لم يتخذ موقفا إيجابيا تجاه التمرد الذى قام فى طرابلس (٢) .

وفى الوقت نفسه تمرد جوداس Godas وهو قوطى الاصل وكان يحكم جزيرة سردينيا التى كانت تحت حكم الوندال ، وأعلن جوداس إنفصاله عن دولة الوندال وأنه سيتولى حكم الجزيرة بنفسه . ولما علم جوداس بما يخطط له الامبراطور تجاه دولة الوندال أرسل إلى القسطنطينية يعلن ولاءه للامبراطور وأنه على استعداد لمساعدته فى الحرب القادمة ضد الوندال وملكهم جليمر . وأوضح جوداس أن سبب تمرده يرجع إلى أن الملك الوندالى جليمر حاكما غير عادل . وأن من الأفضل له العمل تحت قيادة حاكم عادل ، وطلب من الإمبراطور إرسال القوات التى تمكنه من الدفاع عن الجزيرة (٣) . يضاف إلى ذلك أن بعض المؤرخين يرى أن كبار التجار فى العاصمة الوندالية قرطاج قد تعاطفوا مع مشروع الإمبراطور وأن يعود الشمال الإفريقى للسيادة الإمبراطورية حتى يمكن لتجارتهم أن تنتشر على مدى أوسع (٤) .

وحول هذه الأحداث يود الباحث أن يقف وقفة قصيرة لإيضاح أن ما حدث فى طرابلس وفى سردينيا وفى قرطاج فى وقت واحد يدعو للشك بأن هذه الاحداث كانت وليدة الصدفة . وأنه من الأرجح أن أصابع الإمبراطور كانت وراء هذه الاحداث أو مشجعة لها بطريقة أو بأخرى . أو على الاقل

---

(١) Procopius, op. cit., p. 99.
(٢) Baker, op. cit., 0. 103.
(٣) Procopius, op. cit., 0. 101.
(٤) Baker, op. cit., 0. 103.

إذا كانت الثورة قد بدأت فى طرابلس فان الامبراطورية قد استغلتهاوحرضت العناصر الأخرى . وعلى أية حال سوف تفسر لنا الاحداث مدى صحة هذا الرأى .

والمهم أن الامبراطور جستنيان سواء وجد هذه الفرصة أو أوجدها فقد بادر بإرسال بعض قوات الامبراطورية وعلى رأسها تاتيموث Tattimuth إلى طرابلس وقد إنضمت هذه القوات إلى بودنتيوس وقواته وسيطرت على الموقف وأعلنت المنطقة خضوعها للإمبراطورية (١) .

ولم تطالعنا المصادر التى تحت أيدينا بما فعله جليمر تجاه الأحداث التى قامت فى طرابلس . ولعل ذلك مرجعه إلى التمرد الذى قام به جوداس فى سردينيا . وأن جليمر فضل البدء بالسيطرة على الموقف فى سردينيا أولا ثم الالتفات إلى ما دار فى طرابلس (٢) .

وكانت الخطوة الثانية التى قام بها جستنيان هى إرسال أحد مبعوثيه إلى سردينيا وكان يدعى يولوجيوس Eulogius . وقد حمل هذا المبعوث خطابا من الإمبراطور يصف فيه جوداس بالحكمة ومساندته للحق ووعده بمساندته وأنه بسبيل إرسال القائد والجنود اللازمين لحماية الجزيرة (٣) .

ونجح جستنيان أيضا فى التحالف مع القوط الشرقيين فى إيطاليا وصقلية فى هذه المرحلة (٤) . وتمكن جستنيان من ضمان رسو أسطوله فى صقلية وهو فى طريقه إلى الساحل الافريقى ، بالاضافة إلى تزوده بالمؤن . وبذلك يكون

---

(١) Procopius, op. cit., p. 99.

(٢) Baker, op. cit., p. 103.

(٣) Procopius, op. cit., p. 103.

(٤) Diehl, op. cit., pp. 14—15.

جستنيان قد خطط تخطيطا جيداً قبل ابحار الحملة وأنها حازت نصف النجاح قبل بداية الحرب (١) .

وفي الوقت نفسه كان الإمبراطور قد أعد جيشا كبيرا من ستة عشر ألف جندي منهم حوالي عشرة الاف من المشاة وخمسة الاف من الفرسان بالاضافة إلى ستمائة من فرسان الهون وأربعمائة من والهيرول وهي قوات معاهدة كانت في خدمة الامبراطورية (٢) . ويرى البعض أن العدد الاجمالي للجيش كان ثمانية عشر الف (٣) ،وتولى أمر كل هؤلاء مجموعة من خيرة القواد بلغ عددهم حوالي اثنين وعشرين قائدا . وعين على رأس هؤلاء جميعا القائد بلزاريوس يعاونه البطريق Patrician أرخلايوس Archelaus (٤) . والقائد مارتين Martin (٥) .

ولكي يتم نقل هذه القوات إلى الشاطىء الأفريقي أعد الإمبراطور خمسمائة سفينة . وتولى أمر قيادة البحرية البزنطية كالونيموس السكندري Calonymus of Alexandria ومعه ثلاثة آلاف بحار من مصر واليونان وقيليقية . وعلاوة على ذلك كان هناك حوالي اثنين وتسعين سفينة حربية ، وهي السفن التي وصفها بروكوبيوس بانها كانت تعمل بمجاديف من صف واحد وعليها سقف لحماية المجدفين من سهام العدو ، ويبدو أن هذا النوع قد أطلق عليه إسم الشنواتي Galleys . وبالاضافة إلى ذلك إنضمت بعض الدرامين إلى

---

(١) Baker, op. cit., p. 104.
(٢) Procopius, op. cit., 103—105.
(٣) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 42.
(٤) Procopius, op. cit., p. 107.
(٥) Zacharias of Mitylene, op. cit., p. 262.

الاسطول .وقد حملت هذه الدرامين الفين رجل من القسطنطينية (١) . ولما كانت الدرمونة تحمل ما بين مائتين إلى ثلاثمائة فرد (٢) ، فيكون عدد الدرمونات قد بلغ فى المتوسط حوالى ثمانية . أى أن اجمالى قطع الاسطول الحربية وصل إلى مائة قطعة . وأن عدد الفرسان قد بلغ حوالى ثلث القوات الاجمالية . وكان هناك أيضا ما يزيد عن ستة آلاف حصان مدرب على ظهر هذا الأسطول (٣).وقبل أن يغادر الأسطول العاصمة البيزنطية أمر الإمبراطور برسو سفينة القائد بلزاريوس أمام القصر الامبراطورى . الذى كان يقع فى الطرف الجنوبى الشرقى للمدينة وكان يطل على بحر مرمرة . وعندما توقفت سفينة القيادة صعد اليها بطريق المدينة إيفانيوس Epiphanius (٥٢٠ — ٥٣٥ م) حيث أدى الصلاة (٤) . ويبدو أن هذا كان تقليدا متبعا عند ذهاب الأسطول فى مهمة حربية لمباركتها وتشجيع رجالها . وبعد إتمام هذه المراسم أبحر الأسطول لانجاز مهمته .

---

(١) Procopius, op. cit., p. 105.

(٢) درويش النخيلى : السفن على حروف المعجم ص ٤٦ .

(٣) Baker, op. cit., p. 105.

(٤) Procopius, op. cit., p. 111.

إبحار الحملة

أبحرت طلائع الاسطول تحت قيادة فالريان Valerian ومارتين ، وكان على هذه السفن أن تسبق الأسطول البزنطى وعليها الإنتظار عندالبلبونيز حتى تصل بقية الاسطول (١) . ويبدو أن هذه الطلائع كانتمهمتهاإستكشاف الطريق خشية وجود جانب من الأسطول الوندالى فى هذه المناطق . ويقول بروكوبيوس بعد ما بارك بطريق القسطنطينية الحملة فى حوالى الاعتدال الربيعى من السنة السابعة لحكم الامبراطور جستنيان (٢١ مارس ٥٣٣) بدأ الاسطول فى التحرك جنوبا نحو البحر المتوسط والصواب هو الاعتدال الصيفى ٢١ يونيه ٥٣٣ م (٢) . وكانت أول السفن المتقدمة سفينة بلزاريوس وكانت معه زوجته أنطونينا Antonina . والمؤرخ بروكوبيوس الذى إنتابه الخوف فى المراحل الأولى من الحملة . ولكنه تشجع وأصبح أكثر حماسا بعد ذلك . وسوف يلعب دورا فى جمع الأخبار عن الأسطول الوندالى فى المراحل اللاحقة . وإلى جانب سفينة القيادة التى عليها بلزاريوس كان هناك سفينتان أخريتان خاصتان بالقيادة ايضا (٣) .

أبحر الاسطول على هذه الصورة وكانت أول محطة له مدينة برينثوس Perinthus الواقعة على بحر مرمرة وتعرف أيضا بأسم مدينة هرقلية Heracleia حيث قضى الأسطول فى هذه المنطقة حوالى خمسة أيام تقبل بلزاريوس خلالها آخر دفعة من الخيول المختارة التى كانت فى إنتظاره داخل الاصطبلات الإمبراطورية . وقد قدمت إلى بلزاريوس كهدية من الامبراطور (٤) .

---

(١) *Procopius, op. cit., p. 109.*

(٢) انظر الملحق رقم (١) .

(٣) Procopius, op. cit., pp. 111, 119.

(٤) Ibid., p. 113.

ويلاحظ أن الرحلة كانت مليئة بالمتاعب وأن الاسطول لم يصل الشاطيء الافريقي قبل بداية سبتمبر ٥٣٣ م (١) . ومن ذلك أن الاسطول أبحر من هرقلية إلى أبيدوس Abydus حيث ظل هناك أربعة أيام لأن الرياح لم تساعده على مواصلة المسيرة . وخلال توقف الاسطول عند أبيدوس قتل اثنان من عناصر الهون أحد قوادهما لأنه سخر منهم . وكانا في حالة سكر . وكان على بلزاريوس أن يواجهه هذا العمل بكل حزم فأعدام القاتلين على الخازوق . وقد غضبت بعض عناصر الهون من هذا التصرف . ولكن بلزاريوس تمكن من السيطرة على الموقف وطالب الجميع بالتحلي بالخلق وحسن النظام . وقد أفاض بروكوبيوس في الخطبة التي وجهها بلزاريوس إلى عناصر الهون وإلى كافة الجيش . وموجزها أن المذنب يجب أن ينال العقاب المناسب . وعلى الجميع إحترام النظام والقانون وعدم استخدام العنف ضد بعضهم البعض(٢)

بعد ما أقر بلزاريوس النظام بين القوات . بدأ يستعد للابحار . وكان كل ما يشغل باله في هذه المرحلة خوفه من هجوم مفاجيء من البحرية الوندالية أو تباعد السفن بعضها عن بعض بفعل الرياح أو أية عوامل أخرى . لذلك قام بلزاريوس بطلاء صوارى سفن القيادة الثلاث باللون الاحمر . كما ثبت في مقدمة كل سفينة من سفن القيادة أيضا صاريا وضع به مصباحا يضاء ليلا (٣) ، وبذلك أصبح من السهل على بقية السفن التعرف على سفن القيادة نهارا من اللون الأحمر وليلا عن طريق المصابيح .

بعد إتمام هذه الترتيبات أبحر الاسطول من أبيدوس وقد قابلته عاصفة

---

(١) Bury, op. cit., II, p. 129.

(٢) Procopius, op. cit., pp. 115—7.

(٣) Ibid., p. 119.

قوية فاضطر الاسطول للبقاء فى سيجيوم Sigeum لبعض الوقت ثم تقدم إلى ماليا Malea . ولاحظ بلزاريوس أنه عند لجوء الاسطول للاحتماء فى احد الاماكن وجود السفن إلى جوار بعضها وقد يؤدى ذلك إلى إصطدامها ببعض بفعل الرياح . فأصدر أوامره بضرورة إنتشار السفن على مسافات مناسبة إتقاء للاخطار . وقد نفذ البحارة هذه التعليمات بكل دقة (١) . ولاشك ان تصرف بلزاريوس على هذا النحو يدل على حسن القيادة ودقة الملاحظة حتى يتلافى الأخطاء أولا بأول .

ومن ماليا تقدم الاسطول إلى تينارووم Teanarum وتعرف أيضا بأسم كينوبوليس Caenopolis ومنها وصل إلى مدينة ميتون Methone حيث كانت طلائع الأسطول فى إنتظارهم بقيادة فالريان ومارتين . وأضطر بلزاريوس للرسو فى هذا المكان لعدم وجود الرياح المناسبة لدفع السفن . وفى هذا المكان أنزل بلزاريوس جنوده إلى الشاطىء حيث قام بالتفتيش عليهم وأعاد تنظيمهم (٢) .

وفى هذه المنطقة واجه بلزاريوس أول مشكلة هددت قواته . فقد مات حوالى خمسمائة من القوات . وقد أفاض المؤرخ بروكوبيوس المصاحب للحملة فى أسباب ذلك ، وموجزها أن الوالى البريتونى يوحنا المسئول عن تموين الحملة بالخبز قدم خبزا فاسدا للجنود . وذلك بعدم طهيه جيدا حتى يصبح وزنه أكثر من اللازم ويختلس الفرق لنفسه الذى يصل إلى ربع الكمية . فضلا عن كمية من الحطب المتوفرة من طهى الخبز مرة واحدة بدلا من مرتين . وعندما علم

---

(١) Ibid., p. 119.

(٢) Ibid., p. 121.

بلزاريوس بأسباب الوفاة اشترى خبزا لجنوده من أسواق المنطقة لإطعام الجنود وفى الوقت نفسه أخبر الإمبراطور بما حدث . ولكن الإمبراطور لم يعاقب الجانى (١) . ولم توضح لنا المصادر الأسباب التى أدت إلى ذلك . ولعل ذلك مرجعه إلى أن بروكوبيوس قد بالغ فى روايته . وأن تعفن الخبز أو فساده كان أمرا طبيعيا .

أبحر الاسطول من ميتون إلى جزيرة زاكينتوس Zacynthus . وفى هذه الجزيرة حصل الجنود على ما يكفيهم من الماء قبل عبور البحر الادرياتى . وبعد اتخاذ كل الترتيبات أبحر الأسطول غربا فى طريقه إلى صقلية حيث رسا الاسطول فى السادس من يوليو ٥٣٣ م . وكان رسو الاسطول فى أرض صحراوية على الجزيرة بالقرب من جبل أتنا Aetna فى منطقة تعرف باسم كوكانا Caucana ، وقد نفذت مياه الجنود . ولكن سفينة القيادة كان لديها بعض الماء . وذلك مرجعه إلى حسن تصرف أنطونينا زوجة بلزاريوس التى كانت قد ملأت بعض القوارير بالماء ووضعتها فى غرفة خشبية صغيرة داخل السفينة ثم غطتها بالرمال حتى لا تتعرض لحرارة الشمس (٢) . وبذلك تكون المياه قد ظلت باردة وصالحة للشرب .

إنتاب بلزاريوس القلق وهو فى صقلية خشية مهاجمة الاسطول الوندالى للأسطول البيزنطى (٣) ، وانتابه القلق أيضاً حول نوعية الوندال والطريقة التى يحاربون بها . وأين يرسو باسطوله لمهاجمتهم . كما إنتاب الجنود أيضا الرغب

---

(١) Ibid., p. 123.

(٢) Ibid., p. 125.

(٣) Bury, op. cit., II, 124.

خاصة وهم على مقربة من الساحل الافريقى ، وكانوا يخشون القتال البحرى ويتمنون أن يكون القتال على البر (١) .

والواقع أن بلزاريوس قد أحس بقلق جنوده ، وفضلا عن ذلك فان من واجبه أن يؤمن مسيرة الأسطول من صقلية إلى الشاطىء الافريقى ضد عدوين هما الوندال والبحر (٢) . واستغل الجنود تواجدهم فى صقلية لشراء مايحتاجون إليه بعد ما تحالف القوط حكام الجزيرة مع الإمبراطورية . كما إستغل بلزاريوس هذا الموقف أيضا فى جمع المعلومات عن الأسطول الوندالى . ويروى بروكوبيوس أن بلزاريوس أرسله فى هذه المهمة وأنه كلف بجمع المعلومات عن البحرية الوندالية والعودة إليه . وقد ذهب بروكوبيوس إلى سيراقوزه Suracuse حيث علم من أحد الرجال هناك وكان عائدا من قرطاج منذ ثلاثة أيام أن الأسطول الوندالى قد ذهب إلى سردينيا لقمع الثورة التى قام بها جوداس ، وأن الملك الوندالى جليمر يجلس فى قرطاج وليس لديه أى فكرة عن تواجد الأسطول البيزنطى على مقربة منه. وقد عاد بروكوبيوس ومعه هذا الرجل إلى بلزاريوس حيث وجد الحزن يخيم على المعسكر البيزنطى بسبب وفاة القائد دوروتيوس Dorotheus قائد القوات الأرمينية المرافقة للحملة. ولكن أخبار عدم وجود كائن من الأسطول الوندالى بلد هذا الحزن . وأعطى بلزاريوس إشارة التحرك فاستعدالجميع للرحيل ودقت الطبول إيذانا بالاقلاع . وأبحر الأسطول ومر فى طريقه بجزيرة مالطة حيث هبت رياح شرقية قوية ساعدت السفن على الوصول

(١) Procopius, op. cit., p. 125.

(٢) Ibid., Loc. cit.

بأمان إلى مقربة من الشاطىء الإفريقى عند المنطقة المعروفة بأسم كابوتفادا Caputvada التى تقع إلى الجنوب من قرطاج (١) .

وفى عرض البحر أمر بلزاريوس بوقوف السفن ولف الاشرعة وإلقاء المراسى ، ثم إستدعى جميع القادة إلى مقر القيادة ، وفتح معهم حوارا حول عملية الرسو (٢) ، وقد تحدث كثير منهم وأدلوا بآرائهم . وفى ختام المتحدثين كان القائد أرخيلوس الذى بدأ حديثه بالثناء على بلزاريوس الذى يتميز بالخبرة الواسعة وتحمله المسئولية حتى وصل بالحملة سالمة إلى هذه المرحلة ؛ وعلى قيامه بمناقشة الآراء حول الخطوة المقبلة . وفى النهاية إقترح أرخيلوس الرسو فى ميناء ستانجنوم Stangnum القريب من قرطاج خاصة أن البحرية الوندالية موجودة فى سردينيا . وأن الميناء فسيح يتسع لكل السفن البيزنطية . وأضاف أنه بعنصر المفاجأة يمكن مهاجمة المدينة والاستيلاء عليها (٣) .

ولعل ما دفع أرخلايوس إلى القول بذلك أن معظم القادة البيزنطيين كانوا يجهلون طبيعة الساحل الافريقى (٤) . ولكن وجهة نظر بلزاريوس كانت تختلف عن ذلك ، فقد كان بلزاريوس يرى أن غاية الامانى هو وصول الحملة سالمة إلى أى بقعة على الشاطىء الإفريقى لعدم معرفة رجاله بطبيعة المعارك البحرية ، وبعد أن تحققت هذه الامنية يجب الانطمع فى المزيد ، كما كان يرى إحتمال تواجد البحرية الوندالية فى الطريق فتنقض على الأسطول

(١) Ibid., p. 131.
(٢) Procopius, op. cit., p. 131.
(٣) Ibid., p. 125.
(٤) Baker, op. cit., p. 108.

البيزنطى . كما أنه كان يخشى من ضياع الوقت وهبوب عاصفة تفرق السفن أو تدفعها بعيدا عن بعضها ويصبح على القوات أن تحارب الامواج والوندال فى وقت واحد ، وفى النهاية إقتنع الجميع بوجهة نظر بلزاريوس وقرر مجلس الحرب المجتمع الرسو على الارض المواجهة للسفن وهى كابوتفادا (١)، بعد حوالى سبعين يوماً من الابحار . وكان ذلك فى الثانى من سبتمبر عام ٥٣٣ م (٢) ، بعد رحلة شاقة تمنى بلزاريوس خلالها ألا يلتقى بالأسطول الوندالى ، وبذل خلالها أيضا قصارى جهده فى ضبط جنوده والسيطرة عليهم ، واقناعهم بالرسو فى كابوتفادا .

---

(١) Procopius, op. cit., pp. 139—41.

(٢) Baker, op. cit., p. 108.

رسو الحملة على الشاطىء الأفريقي

لم يصطدم الاسطول الوندالى بالاسطول البيزنطى فى عرض البحر المتوسط حتى وصل إلى كابوتفادا خلال المدة التى قطعها الاسطول فى رحلته (١) . ويرجع ذلك إلى إنشغال الأسطول بالثورة التى قامت فى جزيرة سردينيا ، فقد أرسل جليمر أخيه ترازون Tzazon ومعه خمسة آلاف من الجنود تحملهم مائة وعشرون سفينة لقمع هذه الثورة . وبذلك حرم جليمر الشاطىء الأفريقى من الأسطول ومن عدد كبير من قواته . كما أن هذه المعلومات قد وصلت إلى بلزاريوس وهو فى جزيرة صقلية الأمر الذى شجعه على مواصلة الرحلة بأمان حتى الشاطىء الأفريقى .

وإذا كان غياب الاسطول الوندالى فى سردينيا قد ساعد على وصول الأسطول البيزنطى سالما إلى الشاطىء الأفريقى ، فان هناك عوامل أخرى ستساعد الجيش البيزنطى فى مواصلة سيرته إلى العاصمة . ومن هذه العوامل أن الشعب الوندالى أصبح منقسما على نفسه بعد ثورة سردينيا وثورة طرابلس . وكان على الملك الوندالى جليمر مواجهة الاخطار الداخلية والاخطار الخارجية الممثلة فى الجيش البيزنطى الذى يريد إعادة السيطرة على بلاده . كما أن مرور مائة عام على قيام دولة للوندال فى شمال أفريقيا قد غيرت من روح القتال لديهم . فلقد أصبحوا أقل حبا للحرب ومالوا نحو رفاهية المدينة وحياة المنتصر المحترف . وفى الوقت نفسه إضمحلت قوتهم العسكرية بعد موت جنزريك وأصبح الجيش الوندالى يتكون من حوالى ثلاثين ألف من الفرسان الذين يحاربون بالسيوف . وكانوا كبقية الشعوب الجرمانية لا يجيدون

---

(١) Lot, op. cit., p. 258.

(٢) Procopius, op. cit., 107.

استخدام الرماح ، وبالاضافة إلى ذلك كانت العناصر الرومانية التي تعيش داخل دولة الوندال تتمنى عودة سيادة الامبراطورية ، لذلك سوف تبذل ما في وسعها لمساعدة القوات البيزنطية ، كما أن هناك بعض العناصر التي كانت موالية للملك الوندالي المخلوع ، وأخيرا قبائل البربر التي لا يوثق بها ولا يمكن كسب صداقتها أو حيادها تجاه الوندال ، إذا بدأ الموقف يميل لصالح قوات الامبراطورية (١) .

كان هذا هو حال دولة الوندال عندما بدأت القوات البيزنطية تطأ أقدام الشاطىء الأفريقي ، وقد ساعدت هذه الاحوال دون شك في سير العمليات العسكرية في المراحل اللاحقة . وعلينا قبل الدخول في خط سير المعارك الحربية أن نضع في إعتبارنا هذه الظروف وأن الجيش البيزنطي كان تعداده ستة عشر الفا ويحارب على أرض غريبة عنه . في حين كان جيش الوندال ثلاثين الفا كان منهم خمسة آلاف قد ذهبوا إلى سردينيا . فيكون ما تبقى أكبر بكثير من الجيش البيزنطي .

كانت تعليمات بلزاريوس للقوات البيزنطية هي الرسو بأسرع وقت ممكن على الشاطىء ، وبدأ بانزال الخيول والسلاح والأشياء الضرورية ، ثم بدأت القوات في حفر خندق حول المنطقة التي عسكروا فيها ، بالإضافة إلى حاجز أو ساتر على أطراف هذا الخندق ، وقد تم إنجاز هذا العمل كله في يوم واحد . وخلال عملية الحفر وقع حادث أدخل السرور على كافة القوات البيزنطية ، هذا الحادث هو تفجر نبع مائي صالح للشرب . وقد غطى هذا النبع إحتياج القوات والدواب من الماء ، خاصة أن المنطقة التي نزلوا بها

(١) Bury, op. cit., III, pp. 127—8.

كانت عديمة المياه ، وتفاءلت القوات البيزنطية خيرا بهذا الحادث واعتقدت أن الله معهم (١) .

وفيما يتعلق بالأسطول البيزنطى فقد أمر بلزاريوس ببقاء خمسة أفراد من رماة السهام داخل كل سفينة لحمايتها ، كما وضعت السفن الحربية فى شكل حلقة حول السفن الأخرى لحمايتها أيضا . وبعد إتخاذ كل هذه الترتيبات ووضع الحراسة اللازمة للمعسكر قضت القوات ليلتها إستعداداً للمرحلة المقبلة (٢) .

ولا تمدنا الكتب التى بين أيدينا عن أى عمل قام به الوندال حتى هذه المرحلة . وان دل ذلك على شىء فإنما يدل عن الإهمال الشديد الذى ساد الحكومة الوندالية حتى يصل أسطول لدولة معادية إلى أراضيها دونأنتدرى . كما يدل على عدم وجود محطات على الشواطىء الوندالية لحمايتها أو إبلاغ السلطات بما يحدث لاتخاذ الاجراءات الكفيلة للدفاع عنها .

وفى صباح اليوم التالى إستيقظ الجنود وقد ذهب بعضهم إلى البساتين المجاورة وإستولوا على بعض الفواكه . ولما علم بلزاريوس بذلك عاقبهم وطلب من رجاله ضبط أنفسهم وعدم الاستيلاء على ما يخص الآخرين ، لأن ذلك يعود بالضرر على الجيش بأكله . وأوضح لهم أن سكان هذه المنطقة من الرومان أعداء الوندال ويجب على الجيش البيزنطى أن يكسب هؤلاء المواطنين إلى جانبه بالمعاملة الطيبة ، وإذا كان هناك إحتياج لبعض الأشياء فليشتريها الجنود (٣) . وتدل هذه الحادثة وتصرف بلزاريوس حيالها رغم

(١) Procopius, op. cit., p. 141.
(٢) Ibid., Loc. cit.
(٣) Ibid., pp. 143—5.

١- القسطنطينية
٢- هرقليت
٣- أبيدوس
٤- سيجيوم ؟
٥- ماليا
٦- تيناردم
٧- ميثون
٨- ج زاكينثوس
٩- جبل أتنا
١٠- كوكانا
١١- كابوتفادا
١٢- سلكتا
١٣- لبتس
١٤- هادرمنتوم
١٥- جراس
١٦ قرطاج

خط سير الحملة البيزنطية إلى قرطاج ٥٣٣م

صغرها ، على حسن إدراك القائد للمواقف وما يترتب على ذلك من نتائج ، وتفهمه لنفسية قواته والمواطنين الرومان والوندال . لضم السكان إلى جانبه فى الحرب المقبلة .

كانت مدينة كابوتفادا تقع على بعد حوالى مائة واثنين وستين ميلا من قرطاج . وعلى ذلك إذا سار الجيش بمعدل اثنى عشر ميلا فى اليوم دون عوائق فانه يصل إلى قرطاج بعد حوالى أربعة عشر يوما على الاقل (١) .

علم بلزاريوس أن أقرب مدينة إلى موقعه فى إتجاه قرطاج هى مدينة سيلكتوم Syllectum (سلكتا Selekta) التى تقع بالقرب من البحر وعلى مسيرة يوم واحد من كابوتفادا . وكانت أسوارها مهدمة ، ولكن سكان المدينة أقاموا حاجزا حولها ليحل محل الأسوار لحمايتها من غارات البربر . وبعد أن درس بلزاريوس الموقف أرسل أحد رجاله وكان يدعى بوريادس Boriades مع بعض القوات وطلب منهم الاستيلاء على المدينة ومعاملة أهلها معاملة حسنة وأن يخبروهم أن القوات البيزنطية قد أتت لتحريرهم من حكم الوندال . وقد ذهبت القوات البيزنطية حتى أصبحت على مقربة من المدينة وباتوا ليلتهم فى الوادى القريب منها . وتمكنوا من دخولها فى فجر اليوم التالى دون متاعب (٢) . ويبدو ان عنصر المفاجأة قد أذهل السكان فلم يبدوا مقاومة تذكر (٣) .

ويبدو ايضاأن سكانمدينةسيلكتوم كانوا من عناصرغير وندالية لذلك

---

(١) Bury, op. cit., II, p. 130.

(٢) Procopius, op. cit., pp. 143—5.

(٣) Bury, op. cit., II, p. 130.

تعاطفوا مع القوات البيزنطية ، ويتضح ذلك من أن القائد البيزنطى إستدعى أسقف المدينة وأعيانها وأبلغهم بأسباب قدوم القوات البيزنطية ،وقد رحب هؤلاء بالقوات البيزنطية داخل مدينتهم . وفى الوقت نفسه قام مراقب الخيل بالمدينة بتسليم كل ما لديه من خيول للقوات البيزنطية . وفى اليوم نفسه الذى دخلت فيه القوات البيزنطية بقيادة بلزاريوس إلى المدينة قبضوا على أحد المسئولين الذين أتوا لاستلام بريد المدينة . ولم يصب هذا المسئول بأذى بل أهدى اليه بلزاريوس بعض الذهب وسلمه خطابا من الإمبراطور جستنيان لكى يسلمه إلى الامراء الوندال . وموجز هذا الخطاب أن القوات البيزنطية لم تأت لحرب الوندال أو خرق المعاهدة التى عقدت مع جيزريك . ولكن الهدف الرئيسى هو خلع الملك جليمر الطاغية الذى خلع الملك الشرعى وسجنه مع بعض اقاربه بعد أن سمل عيون بعضهم . وفى نهاية الخطاب قدم الإمبراطور الضمانات الكافية لمن يتعاون مع القوات البيزنطية . ولكن الرجل الذى تسلم هذا الخطاب لم يجرؤ على نشره علانية ولكنه كان يخبر به أصدقائه سرا وعلى ذلك لم يؤد المنشور الهدف الذى كتبه من أجله (١) .

بدأ بلزاريوس بعد دخوله مدينة سيلكتوم إعداد جيشه لمواصلة المسيرة إلى العاصمة قرطاج (٢) . ويلاحظ أن الكتب التى تحت أيدينا لا تمدنا بأى أحداث حول هذه المدينة مرة أخرى . وهذا يعنى أن بلزاريوس لم يترك أية قوات بيزنطية لحماية المدينة أو السيطرة عليها . لأنه إذا كانت خطة بلزاريوس هى ترك جانبا من قواته فى كل مدينة يمر بها فسوف يفقد جانبا كبيرا من قواته على مدى الطريق .

(١) Procopius, op. cit., pp. 147—9.
(٢) Baker, op. cit., p. 109.

وعلى أية حال سارت القوات البيزنطية بكامل عددها وعدتها بمحاذاه الساحل للوصول إلى قرطاج ، ولكى يؤمن بلزاريوس قواته أثناء سيرها إختار ثلاثمائة من رجاله ووضعهم تحت قيادة يوحنا الأرمينى وكان رجلا على درجة عالية من الشجاعة والكفاءة القتالية ، وطلب بلزاريوس من يوحنا أن يتقدم الجيش وألا يبتعد عنه كثيرا . وعليه أن يخبره بما يحدث على وجه السرعة . كما طلب بلزاريوس من إيجان Aigan قائد عناصر الهون أن يتقدم ورجاله ويسيرون على يسار القوات الرئيسية لحمايتها من أى هجمات غير متوقعة . وفيما يتعلق بالجانب الأيمن فكان الساحل ولا داعى لحمايته بقوات من المشاة ، أما الأسطول فقد طلب منه أن يسير بمحاذاة الشاطىء على ومقربة من الجيش البيزنطى ، وقد تولى قيادته أرخلايوس (١) .

وعلى هذه الصورة غادر الجيش البيزنطى مدينة سيلكتوم فى الرابع من سبتمبر ٥٣٣ م (٢) ، وكان تصرف القوات البيزنطية فى المناطق التى مروا بها تصرفا حضاريا فكسبوا المواطنين إلى جانبهم ولم يهاجموهم ، بل على العكس من ذلك لقد أعدوا لهم الاسواق وباعوا لهم ما يحتاجونه . وكان الجيش البيزنطى يعسكر ليلا فى المكان الذى يحل به بعد تأمين المنطقة بتعيين الحراسة اللازمة حول المعسكر . وواصل الجيش مسيرته على هذه الصورة حتى مر على مدينة لبتس Leptis ثم وصل هادرمتوم Hadrumentum (٣) ، التى وصلها فى الخامس من سبتمبر (٤) .

---

(١) Procopius, op. cit., p.p. 149—151, 153.

(٢) Baker, op. cit., p. 109.

(٣) Procopius, op. cit., p. 151.

(٤) Baker, op. cit., p. 109.

واصلت القوات البيزنطية سيرها حتى وصلت إلى مدينة جراس Grasse وكان فى هذه المدينة قصر للملك الوندالى يحيط به بستان جميل ، كما كان بالمنطقة عدد من ينابيع الماء . وفى هذا المكان أقام الجنود خيامهم بين الاشجار وأكلوا ثمارها (١) . ولم يحدثنا بروكوبيوس الذى كان مصاحبا للحملة عن إعتراض بلزاريوس على هذا التصرف . ولعل ذلك مرجعه إلى أن الثمار تخص الملك الوندالى جليمر ولا تخص المواطنين ، ويلاحظ أن هذا المكان يعرف الآن باسم سيدى خليفة ولازالت له شهرته بالفاكهة (٢) .

كان وصول الجيش البيزنطى لمدينة جراس فى التاسع من سبتمبر (٣) ، ويبدو أن الملك جليمر قد علم بأخبار الحملة قبل ذلك بوقت قليل لأننا نلاحظ بداية ظهور الملك جليمر وبعض القوات بالقرب من هذه المنطقة فى ضاحية تدعى هرميون Hermione (٤) . وقد حدثت على ما يبدو مناوشة بين القوات البيزنطية وبين الكشافين الذين أرسلهم الملك جليمر (٥) . وعندما تأكد جليمر من وجود القوات البيزنطية أرسل على الفور إلى أخيه اماتاس Ammatas فى قرطاج يطلب منه قتل الملك إلدريك وكل من معه ، وفى الوقت نفسه طلب منه إعداد الجيش الوندالى للحرب وحدد أن المعركة ستكون فى الممر الضيق الذى يؤدى إلى العاصمة وهى المنطقة التى تعرف بأسم دكيموم Decimum (٦) وتبعد حوالى عشرة اميال من قرطاج (٧) . وقد نفذ

(١) Procopius, op. cit., pp. 151—3.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 131.
(٣) Baker, op. cit., II, p. 109.
(٤) Procopius, op. cit., p. 149.
(٥) Baker, op. cit., p. 109.
(٦) Procopius, op. cit., p. 153.
(٧) Bury, op. cit., II, p. 131.

أماتاس ما أمر به . ويفهم من تصرف الملك الواندالى بهذه الصورة أن القوات التى كانت معه قليلة العدد لا يمكنها مواجهة الجيش البيزنطى (١) ، أو أن المنطقة كانت لا تساعده على الالتحام مع هذا الجيش . لذلك ترك لنفسه فرصة الاستعداد فى مكان مناسب . واعتقد ان منطقة دكيموم هى المكان الافضل .

---

(١) Foord, op. cit., p. 65.

معركة دكيموم

١٣ سبتمبر ٥٣٣ م

وقبل الدخول فى تفاصيل معركة دكيموم علينا القاء نظرة على أرض المعركة والمنطقة والطرق المؤدية اليها من جراس حيث توجدالقوات البزنطية، ومن قرطاج حيث تخرج القوات الوندالية لتقابل القوات البزنطيةفى دكيموم. كان الطريق الرئيسى إلى قرطاج عبر دكيمو م ليس بعيدا عن الساحل . وعلى القوات البزنطية إما الدوران مع رأس بون Cape Bon ، أو عبور النتوء الجبلى فى هذا الموضع . واختارت القوات البزنطية عبور النتوء (١) .

ومن رأس بون واصل الجيش البزنطى تقدمه حتى وصل إلى أداكواس Ad-Aquas (حمام الانف حاليا) التى تبعد حوالى ثلاثة وعشرين ميلا من قرطاج . وفى الثالث عشر من سبتمبر كانت القوات البزنطية تقترب من موقع مدينة تونس الحالية (٢) . وبينما كانت القوات البزنطية تعبر النتوء الجبلى،أصبح من المتعذر على الجيش البزنطى رؤية الأسطول الذى كان يتولى قيادته الادميرال أرخيلوس. وقد طلب بلزاريوس من أرخلايوس ألا يصل إلى ميناء قرطاج بل عليه أن يظل بعيدا عن الميناء حتى صدور أوامر أخرى(٣)

لم يكن بلزاريوس يسير مع الجيش الرئيسى بل كان فى المؤخرة . وعند المنطقة المعروفة باسم تل بو قرنين حاليا الواقعة إلى الغرب من أداكواس تمهل بلزاريوس وطلب من رجاله التوقف وإقامة نقطة دفاعية حتى ينزل إلى الوادى مع بعض فرسانه ليكتشف الطريق (٤) . وفى هذه المرحلة كان يوحنا الارمينى يأخذ طريقه فى المقدمة كعادته بينما كانت بعض عناصر الهون تسير على يسار

---

(١) Procopius, op. cit., p. 153.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 132.
(٣) Procopius, op. cit., pp. 153—5.
(٤) Bury, op. cit., II, p. 132.

الجيش البيزنطى (١) ، وبينما تسير هذه الأحداث لم يكن بلزاريوس يعلم بما يخطط له الوندال .

ويمكن تتبع خط سير المعارك كما خطط لها الوندال . فاذا خرجنا من مدينة تونس الحالية عن طريق البوابة الجنوبيةالشرقية(باباليونا Bab Alleona) فأننا نصل إلى محطة سكة حديد جبل جلود وبجانب هذه المحطة كانت المحطة الرومانية دكيموم . وإلى الشرق من هذه المنطقة عدد من الهضاب يسمى أعلاهامجرين Magrin .وفى الغرب توجد منطقة سيدى فتح الله الذى يمتد خلفها سهل يعرف بأسم سهل الملح ،وكان هذا الطريق يمثل ممرا مجدبا .وفى هذه المنطقة خطط جليمر لمحاصرة الجيش البيزنطى (٢) .

كانت الخطة العسكرية الوندالية تقضى بتقدم اماتاس أخ الملك الوندالى جليمر من قرطاج ليلتقى بالجيش البيزنطى فى هذا الممر لوقف تقدمه،وعندما يشتبك أماتاس مع القوات البيزنطية يتقدم جيباموند Gibamund ابن عم الملك ومعه حوالى الفين من القوات الوندالية عبر تل سهل الملح وينزل غرب القوات البيزنطية . وفى الوقت نفسه كان على جليمر أن يتقدم من الجنوب ومعه الجيش الرئيسى ويهاجم القوات البيزنطية من الخلف (٣) ، وتم رصد تحركات القوات وإحتساب توقع وصول الجيش البيزنطى إلى الممر . ويمكن القول أن هذه الخطة تدل على عقلية عسكرية ممتازة لعدة أسباب . منها ، أن جليمر لم يتهور ويهاجم القوات البيزنطية عندما علم بوجودها ، بل صبر عليها بعض الوقت حتى ينظم قواته . وكان هذا الوقت لصالح الوندال لأن القوات

---

(١) Procopius, op. cit., p. 155.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 132.
(٣) Procopius, op. cit., p. 155.

البيزنطية تعانى الكثير اثناء سيرها فى أرض تجهلها . بالاضافة إلى مشاكل المياه والتموين . كما أن انتظار القوات الوندالية للقوات البيزنطية حتى تصل إلى داخل الممر أمر يسهل للقوات الوندالية محاصرتها داخل منطقة مجدبة . يضاف إلى ذلك أن مهاجمة الجيش من الأمام واليسار والخلف أمر يربك القيادة البيزنطية ويجعل جهودها مشتتة فى الدفاع عن نفسها . وعلاوة على ذلك فان مبادأة الوندال بالهجوم على القوات البيزنطية أمر يجعل الاخيرة فى موقف الدفاع وليس فى موقف الهجوم . وليس هـــذا فى صالح القوات البيزنطية لأن هناك قول سائد أن الهجوم خير وسيلة للدفاع . وهناك نقطة أخيرة وهى مهاجمة الجيش الوندالى الرئيسى للقوات البيزنطية من الخلف وليس من الامام هو أمر يكون غير متوقع بالنسبة للقوات العسكرية . وعلى أية حال إذا كانت الخطة قد وضعت بإحكام فليس معنى ذلك ضمان النصر للقوات الوندالية بل العبرة بسلامة تنفيذ الخطة والكفاءة القتالية للوندال .

والواضح الآن أن الجيش الوندالى سيقوم بمهاجمة القوات البيزنطية من الشمال والغرب والجنوب فى منطقة دكيموم فى وقت واحد . ولنبدأ بالجانب الذى يأتى من قرطاج بقيادة أماتاس ليهاجم الجيش البيزنطى من الشمال . لقد خرج أماتاس من قرطاج ومعه بعض القوات الوندالية وكانوا قلة وطلب من بقية الجنود اللحاق به . وقد وصلت القوات التى يقودها أماتاس إلى دكيموم فى منتصف نهار يوم الثالث عشر من سبتمبر قبل الموعد المحدد ولم يكن الجيش البيزنطى الرئيسى قد وصل إلى دكيموم ولكن المقدمة فقط التى كان يقودها يوحنا الارمينى هى التى كانت وصلت إلى ميدان المعركة(١). وهنا إرتكب

(١) Procopius, op. cit., p. 157.

أماتاس خطأ عندما بادر بالالتحام مع مقدمة الجيش (١) ، ويتضح من سير الاحداث ان القوة الوندالية كانت متعادلة مع مقدمة الجيش البيزنطى ، لذلك دار صراع رهيب بين الاثنين ، أبلى كل منهما بلاء حسنا وظهرت المهارات الحربية الفردية فى القتال ، وفى البداية نجح الوندال فى قتل إثنا عشر رجلا من خيرة البيزنطيين ، وفى النهاية دارت الدائرة على الوندال ولقى القائدأماتاس حتفه فى هذه المعركة . وهنا عمت الفوضى صفوف القوات الوندالية ولازت بالفرار تجاه قرطاج . وبينما هى عائدة على هذه الصورة تقابلت مع بقية الجيش الوندالى الذى خرج من قرطاج فى طريقه إلى دكيموم و كان قادما على شكل جماعات قليلة العدد كل منها حوالى عشرين أو ثلاثين رجلا ، ولما شاهدت القوات القادمة من قرطاج زملاءهم عائدين إلى قرطاج على هذه الصورة إعتقدوا أن قوات بيزنطة كثيرة العدد تطاردهم ، ولم يكن يطاردهم سوى يوحنا الارمينى ورجال المقدمة . عادوا أدراجهم بدورهم إلى قرطاج . وقد نجحت مقدمة الجيش البيزنطى فى قتل الكثير من القوات الوندالية وظلت تطاردها حتى قرب بوابات المدينة(٢)،وهى مسافة تصل إلى سبعة أميال (٣) .

ولنقف الآن وقفة تحليلية لمعرفة الاسباب التى أدت إلى هذه الهزيمة التى تنسحب آثارها على المعارك التالية . ومن هذه الأسباب أن أماتاس خرج بمجموعة قليلة من القوات الوندالية على أن تلحق به القوات الوندالية ، وأنه وصل قبل الموعد المحدد ببضع ساعات إلى ميدان المعركة (٤) . كما أنه

---

(١) Bury, op. cit., II. p. 133.
(٢) Procopius, op. cit., p. 157.
(٣) Bury, op. cit., II, p. 132 and n. 2.
(٤) Ibid II, p. 133.

اشتبك مع طلائع الجيش البيزنطى بما معه من قوات ، وكان عليه الانتظار حتى تصل بقية القوات الوندالية وأن ينتظر أيضا الموعد المحدد للهجوم . ومن الأسباب أيضا عدم استخدام القوات الوندالية لنظام الكشافين فى هذه المعركة ، هؤلاء الكشافون الذين عليهم إخبار الجيش بتحركات العدو فيتدخل فى الوقت المناسب . يضاف إلى ذلك عدم وجود قائد آخر للجيش يحل محل أماتاس بعد مقتله ويسيطر على الموقف .

ننتقل إلى القسم الثانى من الجيش الوندالى الذى وصل إلى أرض المعركة بعد القسم الأول . وكان هذا القسم مكونا من حوالى الفين من الوندال تحت قيادة جيباموند ، وقد تقدمت هذه القوات من الغرب حسب الخطة الموضوعة وهى المنطقة المعروفة حاليا بأسم سهل الملح ويتجه شرقا إلى منطقة سيدى فتح الله ، ثم إلى ميدان المعركة المتفق عليه وهو دكيموم . وعندما وصل جيباموند وقواته إلى سهل الملح تقابلت مع بعض قوات الهون التابعة للجيش البيزنطى . وقد صمدت هذه القوات فى القتال مع الوندال حتى لحقت بها بقية الهون . والمعروف أن مجمل قوات الهون التى كانت تصاحب الجيش البيزنطى كانت حوالى ستمائة مقاتل . فأصبح الأمر فى النهاية قتال بين الفين من الوندال ضد ستمائة من الهون . وفى هذه المعركة أيضا تفوق الهون على القوات الوندالية . ويفسر لنا بروكوبيوس أسباب هذه الهزيمة ويذكر أن الوندال ليس لهم خبرة فى قتال عناصر الهون ، فضلا عن الخوف الذى انتاب العناصر الوندالية من سمعه الهون القتالية . كما أن القوات الوندالية أحست أن هناك مخططا كبيرا للقضاء عليهم . فتوقفت عن الحرب . فقتل من قتل ولاذ الباقى بالفرار (١) .

---

(١) Procopius, op. cit., pp. 159—61.

ويمكن القول أن السمعة القتالية التى تمتع بها الوندال فى المراحل السابقة قد وهنت وان مائة عام بعد عبورهم من أسبانيا إلى شمال افريقيا وحياة المدن وترفها قد غيرت الكثير من حياة الوندال حتى يتفوق ستمائة فى أرض يجهلونها على الفين من الرجال فى أراضيهم .

لم يعلم بلزاريوس حتى هذه المرحلة شيئا عن المعركتين السابقتين، وقد كان يبحث فى المناطق المحيطة به عن مكان مناسب يصلح لإقامة معسكر لقواته . وإنتهى الأمر باختيار مكان يبعد حوالى خمسة أو ستة أميال من دكيموم وأحاطه بالحواجز . وأحس بلزاريوس وبعد أن أصبح على مقربة من قرطاج أن معركة كبرى وشيكة الوقوع . فطالب رجاله باليقظة وحذرهم من هجوم مفاجىء للوندال ، وأوضح لهم أن السفن البيزنطية بعيدة عنهم وسوف لا تتدخل فى المعركة . وعليهم أن يعتمدوا على سواعدهم خاصة أن المكان الذى يعسكرون فيه ليس حصينا . وأضاف أن القوات البيزنطية سوف تتغلب على القوات الوندالية لأن البيزنطيين يدافعون عن قضية عادلة . وأوضح لهم أيضا أن القوات البيزنطية قوات مدربة لها خبرة قتالية واسعة مع الفرس والجرمان . هذا على العكس من القوات الوندالية التى لم تحارب منذ وقت طويل مع جيوش منظمة ، وأن كل خبرتهم تنحصر فى مقاومة البربر . وبعد أن شجع بلزاريوس رجاله بهذه الكلمات طلب منهم أداء الصلاة (١) .

ولاشك أن مثل هذه الكلمات كان لها دورها فى المراحل المقبلة للقتال . كما أن تفهم بلزاريوس لمدى كفاءة الوندال القتالية وعدم خبرة الأجيال الحديثة منهم إلا بحرب البربر يدل على عقلية ممتازة كانت جديرة بحمل مسئولية إستعادة الشمال الافريقى إلى الامبراطورية البيزنطية .

(١) Procopius, op. cit., p. 163.

وكما عودنا بلزاريوس ألا يسير بجيشه إلا إذا سارت الطلائع أمامه ، لذلك أرسل مجموعة من الفرسان لاكتشاف الطريق . وبعد أن أمن قواته من جميع الجوانب سار بقواته ومعه الحراس وبقية رماة الرماح . وعندما وصلت طلائع قواته إلى دكيموم وجدوا جثث الاثنا عشر من قوات يوحنا الأرمينى وبالقرب منها جثة أماتاس وبعض القتلى من الوندال . وقد عرفوا من سكان المنطقة بما وقع من أحداث وتملكتهم الدهشة ولم يدروا ماذا يفعلون . وبينما هم على هذه الحالة شاهدوا سحابة ترابية فى الجنوب وبعد قليل شاهدوا عددا كبيرا من فرسان الوندال . فأرسلوا على الفور إلى بلزاريوس يطالبونه بالاسراع فى القدوم إليهم لنجدتهم . لأن قوات الطلائع كانت غير كافية للقتال . وأنقسم رأى قوة الطلائع إلى قسمين أحدهما يطالب بالالتحام مع الوندال . والآخر يطالب بالانتظار حتى قدوم الجيش الرئيسى . وبينما هم يناقشون الرأى مع أنفسهم إقترب الجيش الوندالى الذى سلك طريقا وسطـــا بين القوات البيزنطية الرئيسية وقوات الهون التى حاربت قوات جيباموند . ولما كانت الأرض تلالية فلم يشاهد جليمر الذى كان يقود هذا الجيش قوات بلزاريوس أو قوات الهون وما حل بقوات جيباموند (١) .

وعندما وصلت القوات الوندالية بالقرب من دكيموم دار قتال بينها وبين طلائع القوات البيزنطية من أجل السيطرة على تل مرتفع لعله تل بجرين حيث إنتصرت القوات الوندالية وهربت الطلائع البيزنطية إلى الجنوب لتنضم إلى الجيش الرئيسى . وأثناء عودة الطلائع تقابلت مع بعض الفرق البيزنطية المتقدمة وكان عددها حوالى ثمانمائة تحت قيادة يولاريس Ullaris الحارس الشخصى للقائد بلزاريوس . واعتقدت الطلائع أن الفرصة قد حانت للعودة

(١) Procopius, op. cit., p. 165.

لقتال الوندال ، ولكن بولاريس لم يغامر بلقاء الوندال،للملك عادت كافة القوات البزنطية إلى الجنوب حيث الجيش الرئيسى وقائدهم بلزاريوس (١).

نتوقف قليلا لإلقاء نظرة على مسرح المعركة حتى هذه المرحلة . لقد كانت هناك بعض القوات البزنطية بقيادة يوحنا الأرمنى تطارد بعض القوات الوندالية فى الطريق إلى قرطاج بعد مصرع أماتاس . كما كانت بعض عناصر الهون التى كانت فى خدمة الجيش البزنطى تطارد قوات جيباموند إلى الغرب بعد هزيمتها . هذا بالاضافة إلى طلائع الجيش البزنطى التى فرت إلى الجنوب بعد هزيمتها على يد الوندال بقيادة جليمر . كما أن جليمر كان يتخذ طريقه إلى قرطاج لملاحقة قوات الطلائع البزنطية التى كانت تحت قيادة يوحنا الارمنى لإنقاذ المدينة والتحصن بها . وكان بوسعه الاستيلاء على الأسطول البزنطى أو تدميره على الأقل ويحرم الجيش البزنطى من النصر أو استخدامه فى الهروب (٢) .

وبينما كان جليمر يتخذ طريقه من جنوب دكيموم إلى قرطاج واثناء نزوله من أحد التلال إلى الأرض المنبسطة وشاهد جثة أخيه فقد شجاعته . وبكى بصوت عال ولم يفكر فى الموقف العسكرى المحيط به بل إنشغل بدفن الجثمان ولم يغتنم فرصة التقدم إلى قرطاج ومثل هذه الفرصة لا تعوض (٣) .

وبينما تدور هذه الاحداث بعد ظهر الثالث عشر من سبتمبر (٤)،وصلت القوات البزنطية التى فرت من أمام جليمر . وقد علم منها بلزاريوس بمصرع أماتاس وإتجاه جليمر إلى قرطاج . وبعد أن تمهل بلزاريوس قليلا ليسأل عن

---

(١) Procopius, op. cit., pp. 165—7.

(٢) Ibid., p. 167.

(٣) Ibid., p. 169.

(٤) Bury, op. cit., II, p. 135.

مكان جليمر بالتحديد وعدد وعدة الجيش الوندالى أسرع لملاقاة جليمر (١) . والواضح أن جليمر كان يعتقد أن ما ذهب إلى قرطاج هو الجيش البيزنطى الرئيسى لأنه كان يسير وراءه ، وسيكون لهذا الرأى نتائجه فيما بعد . ولكنه فوجىء بالقوات البيزنطية وهى تهاجمه من الخلف .

وصل بلزاريوس والقوات البيزنطية إلى دكيموم حيث كانت القوات الوندالية فى حالة من الفوضى . ولما كان الوندال لا يتوقعون وصول القوات البيزنطية بهذه السرعة ومن الجنوب . فقد أخذتهم المفاجأة ولاذوا بالفرار فى الاتجاه الغربى إلى سهل بولا Boulla حيث منطقة نوميديا (٢) . وليس إلى الشمال فى إتجاه العاصمة قرطاج . ويؤكد فرار الوندال إلى الغرب إحساسهم بأن الجيش البيزنطى الرئيسى قد إتجه إلى العاصمة لأن جليمر كان يسير خلفه ولابد أن يكون الجيش البيزنطى أمامه .

وعلى أية حال طاردت القوات البيزنطية القوات الوندالية وأنزلت بها خسائر فادحة . وإنتهى القتال مع غروب يوم الثالث عشر من سبتمبر ٥٣٣ م بهزيمة قوات الوندال الرئيسية التى تولى أمرها جليمر وإنتصار القوات البيزنطية وهو النصر الذى يمكن أن نقول عنه بأنه نصر أهداه الملك جليمر إلى القائد البيزنطى بلزاريوس (٣) . وحوالى ذلك الوقت عادت قوات يوحنا الارمينى وعناصر الهون إلى معسكر بلزاريوس وقضى الجميع ليلة الرابع عشر من سبتمبر فى دكيموم (٤) . إستعدادا لمرحلة قتالية أخرى وهى دخول العاصمة قرطاج .

---

(١) Procopius, op. cit., p. 169.
(٢) Ibid,Loc, .cit.
(٣) Bury, op. cit., II, 135.
(٤) Procopius, op. cit., pp. 169—70.

سقوط قرطاج

١٥ سبتمبر ٥٣٣

وبعد أن قضت القوات البيزنطية ليلة الرابع عشر من سبتمبر ٥٣٣م فى دكيموم وصلت فى صباح اليوم بقية القوات البيزنطية التى كانت تحمى المعسكر وقد وصلت معها أنطونينا زوجة بلزاريوس . وبعد ما إكتمل الجيش البيزنطى إتخذ طريقه إلى قرطاج وقد وصلوا اليها فى المساء (١) ، رغم أن المسافة كانت حوالى عشرة أميال (٢) . ويفيد ذلك أن القوات البيزنطية كانت تسير على حذر . حقيقة أن القوات البيزنطية قد هزمت الوندال فى معركتين فرعيتين ومعركة رئيسية . ولكنها لم تكن تعلم حقيقة ما يدور حولها وفى داخل قرطاج . ورغم أن المؤرخ بروكوبيوس كان يسير مع الجيش خطوة بخطوة لم يخبرنا عن التشكيل العسكرى الذى تقدمت به القوات البيزنطية حتى وصلت إلى العاصمة قرطاج . إلا أن ما تعودناه من بلزاريوس حتى الآن يدل على الحيطة والحذر ولابد أنه أرسل الطلائع لتسير أمام الجيش ووضع قوات الهون على يسار قواته . كما لا تطالعنا النصوص بأية مناوشات حدثت بين الجيش البيزنطى والوندال حتى وصلت القوات البيزنطية إلى قرطاج .

وعلى اية حال عندما وصل الجيش البيزنطى إلى قرطاج ، وكان المساء قد حل ، لم يجازف بلزاريوس بإعطاء أوامره إلى قواته بدخول المدينة رغم قيام أهل المدينة بفتح أبوابها للقوات البيزنطية (٣) . وهذا مرجعه إلى خوص بلزاريوس وخوفه من وجود كمائن وندالية داخل المدينة . وحتى يمنع رجاله من سلب المدينة تحت جنح الظلام (٤) . ولعل بلزاريوس خشى أيضا من

---

(١) Procopius, op. cit., p. 171.

(٢) Bury, op. cit., p. 132.

(٣) Zachorioh of Mitytene, op. cit., p. 263.

(٤) Procopius, op. cit., p. 171.

قيام عناصر الهون والهيرول باعتبارها عناصر محبة لشرب الخمر من أن تعيث في المدينة فسادا (١) . والمهم هنا أن القوات البيزنطية قضت ليلتها خارج المدينة ، رغم ترحيب أهل المدينة بها . وقد أعربت عن ترحيبها بالجيش البيزنطي عندما أضاءت المشاعل في كل مكان داخل المدينة ، وقد ظلت هذه المشاعل مضاءة طوال الليل (٢) .

وتدل الحالة التي ظهرت بها المدينة أن الطريق أصبح ممهدا أمام بلزاريوس لدخول المدينة دون متاعب ، لأن المدينة لم تكن بها قوات وندالية تستطيع الدفاع عنها (٣) ، وفي صباح يوم الخامس عشر من سبتمبر اصطف الجيش البيزنطي كما لو كان ذاهبا إلى معركة استعدادا لدخول المدينة خشية تعرض القوات داخل المدينة لمقاومة وندالية . وقد أعطى بلزاريوس أوامره بحسن معاملة الأهالي الذين وقعوا تحت الحكم الوندالي رغما عنهم ، لأن هؤلاء الأهالي قد قاسوا الكثير خلال الحكم الوندالي . وذكر بلزاريوس رجاله أن الغرض من قدوم القوات البيزنطية إلى الشمال الأفريقي هو تحرير هؤلاء المواطنين من حكم الوندال ، وليس من العدل أن يصاب الأهالي بأضرار على أيدي من جاءوا لمساعدتهم . وبدأت مسيرة الجيش البيزنطي بعد ذلك ودخل الجيش البيزنطي المدينة في موكب مهيب ، ولم تظهر أية مقاومة وندالية أثناء ذلك . وقد إتجه بلزاريوس بعد دخول المدينة إلى قصر الملك الوندالي جليمر وجلس على عرشه (٤) .

---

(١) Baker, op. cit., p. 114.

(٢) Procopius, op. cit., p. 171.

(٣) Zacharias of Mitylene, op. cit., p. 263.

(٤) Procopius, op. cit., p. 175—7.

أما بالنسبة للأسطول فقد صدرت إليه التعليمات بدخول الميناء ، وقد ساعدت الرياح على دفع بعض السفن التى كان يتولى أمرها القائد كالونيموس إلى ميناء قرطاج وكان يطلق عليه إسم ماندراكيوم Mandracium ، وأن أهل المدينة ساعدوا هذه السفن على دخـــول المدينة بعدما أزالوا السلاسل الحديدية التى تعترض طريق السفن (١) . وهى معلومة لها دلالتها وتلقى الضوء على جانب من تحصين مدينة قرطاج فى هذه المرحلة .

أما بقية السفن التى قادها القائد أرخلايوس فقد خشى دخول ميناء قرطاج لأن الأوامر لم تكن صدرت إليه بعد . فأمر برسو السفن خارج الميناء ولكن البحارة إعترضوا على ذلك لوجود مؤشرات بهبوب عاصفة عرفها أهل قرطاج بأسم القبرصية Cypriana ، وأن هذه العاصفة قوية وتهدد جميع السفن . كما أن ميناء قرطاج كان لازال مغلقا فضلا عن صغر حجمه وعدم قدرته على إستيعاب كافة السفن . لذلك إتجهت السفن إلى منطقة ستاجنوم stagnum وهو ميناء قريب من مدينة قرطاج (٢) .

ومع الابتهاج بدخول القوات البيزنطية تم الافراج عن المساجين الذين كانوا فى قصر الملك . وكان يطلق إسم أنكون Ancon على غرفة داخل قصر الملك يسجن بها من يغضب عليهم الملك ، وقد كان بها عدد من التجار الشرقيين سجنهم جليمر لاتهامهم بالتآمر مع الامبراطورية البيزنطية لحرب الوندال . وقد أفرج بلزاريوس عن هؤلاء المحتجزين (٣) .

(١) Ibid., p. 171.
(٢) Ibid., pp. 173—5.
(٣) Ibid., p. 171.

واثناء وجود بلزاريوس فى قصر جليمر حضر إليه بعض أهالى المدينة وكان من بينهم بعض التجار ، وكانت هذه المجموعة من سكان المنطقةالقريبة من الميناء ، وقد إشتكى هؤلاء إلى بلزاريوس من أن بعض البحارة فى الليلة السابقة قد إستولوا على بضاعتهم ،وقد أحضر بلزاريوس القائد كالونيموس وجعله يقسم يمينا بإحضار المسروقات ، ولكن كالونيموس لم ينفذ ما أقسم عليه ، فقد كان يرى أن ما استولى عليه يندرج تحت غنائم الحرب (١) .

وعلى أية حال فان هذه الشكوى هي الحالة الوحيدة التى سجلها بروكوبيوس حول سوء تصرف بعض الجنود . وهذا فى حد ذاته لا يشكل ظاهرة عامة عندما دخل الجيش البيزنطى قرطاج . ويعتبر تصرف الجنود بصفة عامة عندما دخلوا قرطاج — على حد وصف بروكوبيوس — تصرفا رائعا ، إذا علمنا أن البيزنطيين لم يعتادوا على دخول مدينة دون فوضى حتى ولو كانوا قليلى العدد خاصة إذا كان دخول المدينة غير متوقع (٢) .

وعندما حان وقت الغذاء طلب بلزاريوس من رجال القصر إعدادالطعام فى المكان الذى تعود فيه جليمر إستضافة قادة الوندال . فقد كان بالقصر قاعة خاصة لتناول الطعام يطلق عليها اسم دلفكس Delphix نسبة إلى مدينة دلفى التى كانت تصنع فيها اكواب الشراب . وقد شاع إطلاق إسم دلفكس فى بيزنطة وفى أماكن أخرى على غرف الطعام . وفى هذه القاعة تناول بلزاريوس ومعه كل قادة الجيش البيزنطى طعام الغذاء . وتولى خدمة الحاضرين خدام القصر (٣) .

---

(١) Ibid., p. 177.

(٢) Ibid., p. 179.

(٣) Ibid., Loc. cit.

ويروى بروكوبيوس وكان من بين الحاضرين أن بلزاريوس كسب فى هذا اليوم شهرة لم يكسبها قائد من قبل ، ويتضح ذلك من حسن النظام الذى ساد المدينة ، وحسن معاملة الجنود للاهالى ، وإنتظام العمل فى الاسواق التجارية . وإستقبال الأهالى للبيزنطيين وإستعطافهم وتخصيص أماكن لراحتهم . ويزيد من عظمة بلزاريوس فى هذه المرحلة وبعد أن إنتصر على الوندال انه عفا عن جميع الوندال الذين لجأوا إلى الكنائس (١) . ويلاحظ انها كانت كنائس تسير تبعا للمذهب الاريوسى . ولكن الحال تبدل مع سقوط قرطاج فى يد القوات البيزنطية ، فقد علا نجم المذهب الأرثوذكسى ، حيث دخل رجال الدين الارثوذكس إلى الكنائس التى كان الوندال قد إستولوا عليها وإختفت الشعائر الاريوسية وعادت الترانيم الارثوذكسية إلى المدينة مرة اخرى بعد حوالى مائة عام . ويلاحظ أنه حتى هذه المرحلة لا يستطيع الباحث أن يجزم بأن ما حدث داخل العاصمة قرطاج بالنسبة للشعائر الأريوسية ينطبق على كافة الكنائس فى مملكة الوندال . لأنه كما يتضح من الاحداث السابقة أن بلزاريوس لم يترك أية قوات بيزنطية فى المدن التى مر عليها أثناء سيره من كابوتفلدا حتى قرطاج . كما أن المناطق الاخرى لم يعرف ما تم بداخلها حتى الآن . وأن الملك جليمر لازال على قيد الحياة ومعه جانبا من القوات الوندالية يحاول أن يقوم بعمل ما ضد القوات البيزنطية .

وعلى أية حال كان للترحيب الحار الذى أبداه سكان مدينة قرطاج أثره أثره البالغ على القوات البيزنطية (٢) . وقد إستغل بلزاريوس هذه الحالة

(١) Ibid., p. 179—81.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 135.

وعدم إنشغال قواته بالحرب داخل المدينة أو خارجها فى هذه المرحلة لإعادة ترميم أسوار المدينة التى أهملها الوندال لفترة طويلة حتى أن الملك جليمر كان لا يقيم داخل العاصمة قرطاج بسبب عدم حصانتها (١) ، وقد قدم بلزاريوس الكثير من الأموال إلى الفنيين والعمال الذين إجتمعوا لترميم السور وكانوا بأعداد كبيرة . وقد تم فى وقت قصير ترميم جانبا من السور الذى كان متصدعا ، كما تم حفر خندقا حول السور (٢) . كعامل مساعد للمزيد من حصانة قرطاج .

وقد حدث فى هذه المرحلة ما طمأن بلزاريوس إلى حد كبير . فقد أرسل اليه زعماء البربر فى مقاطعات موريتانيا ونوميديا وبيزانسيوم مبعوثين بهدف التحالف معه ومساندته . وقد ذكر هؤلاء المبعوثين إلى بلزاريوس أن البربر عبيد الإمبراطور على حد تعبير المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس ، وأضاف أن البربر وعدوه بالحرب إلى جانبه . وقد أتى هؤلاء المبعوثين ومعهم بعض أبناء زعمائهم ، وقدموهم كرهائن للقائد بلزاريوس وقد طلب هؤلاء الزعماء على لسان مبعوثيهم شارات الحكم التى كانت الامبراطورية ترسلها إلى زعماء البربر قبل الغزو الوندالى . وكانت هذه الشارات عبارة عن عصا من الفضة مطلية بالذهب ، وغطاء رأس من الفضة أيضا على شكل تاج تتدلى من جوانبه شرائط فضية . وعباءة بيضاء قصيرة مطرزة تثبت بدبوس ذهبى على الكتف ، وحذاء مطلى بالذهب . وقد استجاب بلزاريوس لطلب هؤلاء الزعماء وأرسل اليهم هذه الشارات مصحوبة بمبلغ كبير من المال (٣) .

---

(١) Procopius, op. cit., p. 181.
(٢) Ibid., p. 195.
(٣) Ibid., pp. 201—3.

ويلاحظ أن كل الزعماء لم يرسلوا مبعوثين على هذا النحو إلى بلزاريوس . فقد كانت هناك بعض قبائل البربر التي ساندت الوندال . إنما يمكن القول أن وقوف ثلاث مقاطعات هذا الموقف من بلزاريوس يدعو إلى الاطمئنان . وفي قيام بلزاريوس بإرسال الشارات إلى زعماء هذه المقاطعات يعني أن الأمور قد عادت إلى سيرتها في بعض المناطق قبل الفتح الوندالي (١) . ويلاحظ أيضا أن عناصر البربر هذه التي قدمت ولاءها للقائد بلزاريوس سوف لا تدخل الحرب لا إلى جانب الوندال ، ولا إلى جانب البيزنطيين ولكنها ستقف على الحياد في المراحل اللاحقة إنتظارا لما تسفر عنه الأحداث (٢) .

وهكذا نجح بلزاريوس في دخول مدينة قرطاج سلما . ورحب به أهل المدينة ، وأنه ألغى الشعائر الأريوسية وأقام الشعائر الارثوذكسية . وأصلح سور المدينة وحفر خندقا حول هذا السور . ودخلت بعض عناصر البربر في طاعته .

أما فيما يتعلق بالملك جليمر الذي فر إلى منطقة بولا ، فقد أصبح في موقف لا يحسد عليه . فالوندال أتوا إلى الشمال الافريقي كفاتحين وظلوا يحكمون المنطقة كأسياد وليسوا كمواطنين ولذلك لم يتفاعلوا مع أهالي المنطقة . والآن بعد هزيمتهم أمام القوات البيزنطية ، لم يعد بوسعهم العودة من حيث أتوا . لذلك أصبح الامر بالنسبة للملك جليمر مسألة حياة أو موت . وعلى الملك جليمر أن يعمل ما في وسعه في أجل البقاء .

بدأ جليمر يكسب صداقة المواطنين في منطقة بولا . وذلك بتوزيع

---

(١) Bury, op. cit., II, p. 135.

(٢) Procopius, op. cit., p. 203.

الكثير من الاموال عليهم ، وفى الوقت نفسه بعث بمجموعات صغيرة من رجاله لتصيد ما يخرج من القوات البيزنطية وغيرهم من العاصمة قرطاج ، ورصد مبلغا كمكافأة لكل من يقبض على فرد يخرج إلى ضواحى قرطاج . وقد نجح هؤلاء فى القبض على بعض القوات البيزنطية وحصلوا على المال الذى وعد به الملك الوندالى جليمر (١) . وقد أزعجت هذه الاحداث القائد بلزاريوس فأرسل بعض القوات البيزنطية وكان عددها إثنين وعشرين وعلى رأسها ديوجينس Diogenes لتفتيش المنطقة المحيطة بالعاصمة ، ولكن الفلاحين أبلغوا جليمر بهذه التحركات . فأرسل ثلاثمائة من قواته للقبض عليهم ، ولكن القوات البيزنطية نجحت فى الحرب بعد ما أصيب قائدها ، وكانت على وشك الهلاك (٢) .

وبينما كان بلزاريوس ينعم بالنصر فى قرطاج ، وكان جليمر يعانى مر الهزيمة فى مخبأه فى بولا . كان تزازون أخ جليمر ينعم بالنصر فى سردينيا(٣) فقد رسا بأسطوله المكون من مائة وعشرين سفينة عليها خمسة آلاف من المقاتلين (٤) ، فى ميناء جاجليارى Gagliari وسيطر دون مقاومة تذكر على الموقف داخل الجزيرة ، وقتل الثائر جوداس ومن ساندوه ، وقد علم برسو الحملة البيزنطية على الشاطىء الافريقى . ولكنه لم يعلم بالأحداث . فكتب إلى أخيه جليمر يعلمه بمقتل جوداس وأن الجزيرة أصبحت تحت سيطرته وأنه احتفل بهذا النصر . وتمنى تزازون أن يكون النصر حليف

---

(١) Ibid., p. 191.

(٢) Ibid., pp. 191—195.

(٣) Freund, op. cit., p. 65.

(٤) Bury, op. cit., II, p. 128.

الوندال ضد القوات البزنطية التى هاجمت أراضيهم . ولما كان الرسل لا يعلمون بما حدث فقد أبحروا إلى قرطاج حيث تم القبض عليهم ، ومنهم علم بلزاريوس كل التفاصيل ، وقد عوملوا معاملة طيبة (١) .

وفى الوقت نفسه أرسل جليمر خطابا إلى أخيه يخبره بالموقف فى مملكة الوندال وأبلغه بمقتل أماتاس وجيامونـد . وفى هذا الخطاب يحلل جليمر أسباب هزيمة الوندال ويرجعها إلى عدم شجاعتهم رغم كثرتهم العددية وأضاف جليمر موضحا خطورة الموقف وطلب من أخيه العودة بأسرع ما يمكن ومعه كل القوات بعد ما أصبح الامـل معقودا عليـه فى إنقاذ مملكـة الوندال (٢) .

وحاول جليمر فى هذه المرحلة التحالف مع ثيوديس Theudis ملك القوط الغربيين فى أسبانيا (٥٣١ – ٥٤٨ م) ولكن هذا المشروع باء بالفشل بعدما علم الملك القوطى بسقوط قرطاج فى أيدى القوات البزنطية (٣) .

لم يبق من أمل أمام جليمر سوى وصول أخيه تزازون ومعه القـوات الوندالية . وقد إستعد الأخير للرحيل من سردينيا عندما تسلم خطاب أخيه ، وعاد بكل قواته وسفنه إلى نقطة قريبة من سهل بولا الذى يقع بين مقاطعتى نوميديا وموريتانيا ، ثم واصلوا مسيرتهم على الأقدام حتى وصلوا إلى الملك جليمر فى بولا . ويرجع ذلك إلى طبيعة المنطقة الجبلية وعدم وجود مكان

---

(١) Procopius, op. cit., p. 197.

(٢) Ibid., p. 205.

(٣) Ibid., pp. 197—9.

يصلح لرسو السفن بجوارها، ويصف بروكوبيوس أن اللقاء كان مؤثرا بين الأخوين وبين جميع الوندال وأن الدموع والعناق ساد الموقف ، وأن الوندال القادمين من سردينيا لم يفكروا فى أولادهم ولا زوجاتهم (١) ، والواقع أن كل ما كان يعنيهم هو محاولة إنقاذ المملكة من السقوط بعد ما سقطت العاصمة قرطاج .

(١) Ibid., pp. 205—7.

معركة تريكامارون

منتصف ديسمبر ٥٣٣ م

تشجع جليمر بعد ما وصل اليه اخوه تزازون ومعه حوالى خمسة آلاف من القوات الوندالية . وهى القوة التى ذهبت لاسترجاع سردينيا. وعند هذه المرحلة كانت الخطة الوندالية هى إجبار بلزاريوس على الخروج بقواته من قرطاج ، لأن حصار المدن ليس عملا تجيده القوات الوندالية (١) . لذلك سار جليمر وأخوه تزازون ومعهما كل ما تجمع من القوات الوندالية إلى العاصمة قرطاج للضغط على القوات البيزنطية لاجبارها على الخروج من المدينة إلى الحقول المجاورة . وعندما اقتربت القوات الوندالية من العاصمة حطمت جانبا من القناة التى كانت تمد العاصمة بالمياه (٢) . تعرف باسم باجرادس Bagrads (٣). وقد ظلت القوات الوندالية لبعض الوقت على هذا الحال . ولكنها لاحظت أن القوات البيزنطية لم تقم بأى عمل عسكرى تجاه القوات الوندالية . فقام جايمر باعطاء أوامره بتشديد الحراسة على الطرق إنتظارا لما تسفر عنه الاحداث . ويلاحظ أن القوات الوندالية لم تقم بأى عمل من أعمال السلب أو النهب فى المنطقة بل سيطروا عليها فقط (٤) . وهذا أمر طبيعى فالارض أرضهم والامل استعادتها وهزيمة القوات البيزنطية إن عاجلا أو آجلا .

ولما قلق الوندال من الإنتظار أرسل جليمر بعض رجاله سرا إلى مدينة قرطاج لعلها تتمكن من تجنيد بعض العناصر التى تدين بالمذهب الاريوسى للعمل لصالحه داخل أو خارج العاصمة ، كما إتصل جليمر بقادة عناصر الهون

---

(١) Baker,o op. cit., p. 117.

(٢) Procpius, op. cit., p. 211.

(٣) Baker, op. cit., p. 117.

(٤) Procopius, op.cit., 211.

المرافقة للجيش البيزنطى وعرض عليهم التحالف مع الوندال مقابل وعود مجزية (١) .

لقد تمكن جليمر حتى هذه المرحلة من منع الإمدادات عن المدينة من ناحية البر (٢) . ولكن هذا لا يؤثر كثيرا فى وضع القوات البيزنطية فالمدينة مفتوحة من ناحية البحر والاسطول البيزنطى على مقربة بها وبامكانه إمدادها بالمؤن . ولكن الأهم من ذلك أن رجال جليمر الذين أرسلهم إلى داخل قرطاج قد نجحوا فى ضم بعض العناصر إلى جانب الوندال . ولكن بلزاريوس إكتشف هذه المؤامرة وتم القبض على أحدهم وهو من أهل قرطاج وكان يدعى لوروس Laurus وأعدم بالخازوق فى مكان مرتفع فخاف الآخرون وعدلوا عن مساندة الوندال (٣) .

كما نجح جليمر أيضا فى ضم قادة الهون إلى جانبه بعد ما أغراهم بالهدايا والوعود الطيبة . وكان جليمر على إتصال دائم بهؤلاء القادة الذين وعدوه بالقتال إلى جانبه ضد البيزنطيين . وقد علم بلزاريوس بهذا الاتفاق . وكانت وجهة نظر الهون حول هذا الاتفاق أنه إذا هزمت القوات البيزنطية القوات الوندالية . فان الهون سوف لا يعودون إلى أوطانهم ويظلون فى الشمال الافريقى . كما إعترض الهون على الطريقة التى توزع بها الاسلاب عليهم . وقد وعدهم بلزاريوس ببعض المزايا إذا انتصرت القوات البيزنطية على الوندال. ووعدهم أيضا بالعودة إلى اوطانهم ومعهم أسلابهم . وقد أقسم الهون على ذلك قبل

---

(١) Ibid., p. 211.

(٢) Bury, op. cit., II, p. 136.

(٣) Procopius, op. cit., p. 213.

بداية الحرب (١) . ولكن المور سوف لا يلتزمون بهذا الاتفاق وسيقفون على الحياد فى مراحل الحرب المقبلة ثم يتدخلون لصالح الفريق المنتصر (٢) .

ولم يظل الحال على هذه الصورة كثيرا ، فقد كان بلزاريوس يأخذ استعداده لمواجهة الوندال ، وعندما وجد أن الأحوال تمكنه من القتال وأن الأسوار قد تم إصلاحها . بدأ يشجع رجاله على مواجهة الوندال وأوضح لهم أن القوات البيزنطية التى هزمت الوندال لا تحتاج إلى كلمات تشجيع ، وأن الجيش البيزنطى لم يأت إلى قرطاج ليظل بداخلها ، وأن الموقف أصبح فى صالح بيزنطة لأنه فى المراحل السابقة كان البيزنطيون يحاربون فى أرض مكشوفة وليس هناك مكان يلجأون اليه . أما بعد إستيلاء القوات البيزنطية على قرطاج فقد أصبح الموقف مختلفا لأن القوات البيزنطية إذا هزمت فان هذا يعنى خسارة لقطعة أرض فقط أو معركة . وأضاف بلزاريوس أن من الأفضل ألا يملك الإنسان شيئا عن أن يفقد شيئا يملكه . والقوات البيزنطية تملك الآن قرطاج وعليها الإحتفاظ بها . وإذا كان الجيش البيزنطى قد حارب بفرسانه فقط فى المراحل السابقة فانه سوف يدخل المعركة المقبلة بكل قواته ، وعليه أن ينتهز الفرصة وينزل الهزيمة بالوندال (٣) . وكانت خطة بلزاريوس هى عدم القتال داخل قرطاج . وهى فكرة تتفق مع تخطيط الوندال ،وكان يرى أنه قام بتحصين أسوار المدينة لحماية قواته من الوندال . وليس لحماية الوندال من قواته (٤) . وعلى ذلك يجب الخروج بقواته للقتال فى الوقت المناسب . ويجب أن يكون هذا الوقت فى أقرب فرصة ممكنة .

---

(١) Ibid., p. 213.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 136.
(٣) Procopius, op. cit., pp. 215—7.
(٤) Baker, op. cit., p. 117.

وفى يوم الثانى عشر من ديسمبر أمر بلزاريوس قائد المشاة يوحنا الأرمينى بقيادة جميع فرسان الجيش عدا خمسمائة . كما أرسل معه أيضا مجموعة من الحراس وحملة البيارق . وكانت التعليمات تقضى بمناوشة الوندال فقط بعد ما انسحبوا من امام قرطاج . وفى اليوم التالى تبعه بلزاريوس ومعه بقية الفرسان وعددهم خمسمائة وكافة المشاة أما بالنسبة لعناصر الهون فقد قرروا ألا يحاربوا مع البيزنطيين أو الوندال ، أى وقفوا موقف المحايد ، وذا بدأت الحرب فانهم سيدخلون لصالح الفريق المنتصر . وتقدمت القوات البيزنطية إلى منطقة كانت تعرف باسم تريكامارون Tricamarun (١) . التى تبعد حوالى عشرين ميلا غرب قرطاج عند جدول يعرف باسم مجردا Mejerda حيث كان الوندال يعسكرون فى هذه المنطقة (٢) .

وقضى الجيش البيزنطى والوندالى ليلتهم فى هذه المنطقة ، ويبدو أن هذه الليلة كانت قرية . ولذلك انعكست الأضواء على أسنة الرماح العديدة داخل المعسكر البيزنطى ، كما ظهرت المشاعل المضاءة . وقد ألقت هذه الصورة الرعب فى صفوف الجيش الوندالى (٣) . وكانت خطة بلزاريوس فى هذه المرحلة هى الاستفادة من طرق القتال التى تدربت عليها القوات البيزنطية فى الحروب الفارسية وهى الحرب الخاطفة وإنزال الضربات السريعة التى تلحق أفدح الخسائر بالعدو (٤) . .

وفى اليوم التالى الرابع عشر من ديسمبر أمر جليمر الوندال بوضع نسائهم

---

(١) Procopius, op. cit., p. 219.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 136.
(٣) Procopius, op. cit., pp. 219—221.
(٤) Baker, op. cit., p. 117.

وأطفالهم وكل ممتلكاتهم داخل المعسكر الوندالى ، وهى طريقة لا يراها المؤرخ بروكوبيوس مناسبة للقتال . والمهم أن جليمر حث رجاله على التحلى بالشجاعة حتى يمكن الانتصار على القوات البيزنطية وإستعادة قرطاج . لأنه إذا حدث العكس وانتصرت القوات البيزنطية فقد يهلك الوندال جميعا ، ويتحول من يتبقى إلى عبيد . وإذا مات البعض يكون المجد لأهلهم من بعدهم ويعيدوا أمجاد أسرة جيزريك (١) .

وإذا كان جليمر قد تحدث إلى الوندال كافة فقد طلب من أخيه تزازون أن يشجع رجاله الذين قدموا من سردينيا على حده (٢) . وهى نقطة هامة تتعلق بالحال النفسية للجنود . فالقوات الوندالية التى ذهبت إلى سردينيا إنتصرت على قوات جوداس وعادت فى حالة أحسن بكثير من القوات الوندالية التى هزمت فى معركة دكيموم ، ولعل جليمر خشى من تأثير القوات الوندالية المهزومة على القوات العائدة من سردينيا . ويؤكد ذلك أن حديث تزازون إلى رجاله لم يخرج عن هذا المضمون . لقد ذكر تزازون رجاله بانتصارهم فى سردينيا . وأضاف أن هذه القوات تتميز عن الوندال الذين هزموا من قبل وأن الامل أصبح معقودا عليهم فى الانتصار على القوات البيزنطية ومساندة الملك الوندالى جليمر . وسوف تعتبركم الدولة الوندالية منقذون ومخلصون من السيطرة البيزنطية (٣) .

وإذا لاحظنا أن الوقت كان حوالى منتصف ديسمبر (٤) ، فانه يمكن

---

(١) Procopius, op. cit., pp. 221—5.

(٢) Ibid. p. 235.

(٣) Ibid., pp. 225—7.

(٤) Ibid., p. 235.

القول أن هذا المناخ مناسب جدا - للقوات البيزنطية القادمة من أوروبا - للقتال دون خوف من تعرضها لحرارة الجو (١) . أما بالنسبة للتشكيل العسكرى للمعركة فقد كان جدول مجردا يفصل بين القوات البيزنطية والقوات الوندالية ، وفيما يختص بالجيش البيزنطى فقد قسم إلى ثلاثة جيوش من الفرسان هى الميسرة والميمنة والقلب . وقد تولى قيادة الميسرة مارتين وفالريان . ويوحنا . وكبريان والتباس . ومارسيليوس . وآخرين . أما الجناح الايمن فقد تولى أمره بايوس ، وبارباتوس ، وايجان . وآخرين . أما القلب فقد تولى قيادته القائد يوحنا الارمنى . وكان معه أيضا الحراس وحاملى الرماح . وقد وضع بلزاريوس قوات المشاة فى الخلف . أما عناصر الهون فقد وضعت فى موقع بعيد نسبيا عن الجيش للتشكك فى نواياهم . وفى الوقت المناسب وصل بلزاريوس ومعه خمسمائة من الفرسان لإدارة المعركة (٢) . وستكون المواجهة العسكرية بخطط بعيدة عن الحرب التقليدية التى سادت الغرب الاوروبى فى هذه المرحلة (٣) .

اما القوات الوندالية فكان تشكيلها معادل للتشكيل البيزنطى مع الاختلاف فى الخطط . فقد كان هناك جناحان أى ميمنة وميسرة وكان الجناحان منقسمين إلى مجموعات يتولى أمر كل مجموعة قائد ألف وتولى تزازون قيادة القلب . وخلف هذا التشكيل كانت جماعات البربر المحالفة للوندال . ويلاحظ أن التعليمات قد صدرت للوندال بعدم إستخدام الرماح أو أى سلاح آخر عدا

---

(١) Baker, op. cit., p. 118.

(٢) Procopius, op. cit., p. 229.

(٣) Baker, op. cit., p. 117.

السيوف (١) ؛ وعدم عبور الجدول المائى (٢) ، وقد أعتقدوا أن بهذا التخطيط يمكن هزيمة القوات البيزنطية (٣) .

وبعد أن تأكد بلزاريوس من حسن إستعداد قواته للمعركة ، أخذ زمام المبادأة وأمر فرسان القلب بقيادة يوحنا الأرمينى بعبور جدول مجردا والهجوم على قوات القلب الوندالية التى يتولى قيادتها ترازون . وقد نجحت القوات الوندالية فى صد القوات البيزنطية ومطاردتها حتى عادت أدراجها . وعاود يوحنا الهجوم مرة أخرى بعد ما بدل قواته التى هاجم بها فى المرة الأولى . فقد قاد فى هذه الهجمة الحرس الخاص بالقائد بلزاريوس . وكانت الهجمة على قلب القوات الوندالية أيضا . وقد نجح ترازون فى صدهم مرة أخرى . وكرر يوحنا الهجوم للمرة الثالثة بعد أن ضم إلى قواته السابقة رماة الرماح . وتصدرت هذه الهجمة راية يوحنا . وقد صاحب الهجوم صيحات عالية . وفى هذه المرحلة تمكن البربر من إيقاف تقدم الهجمة البيزنطية باستخدام سيوفهم . وإشتدت المعركة وسقط العديد من الوندال قتلى فى أرض المعركة ومن بينهم ترازون . وعند هذه المرحلة تدخل الجيش البيزنطى ؛ فعبر الجدول وهاجم الوندال . وهنا تدخلت عناصر الهون إلى جانب القوات البيزنطية ، ونجح الجيش البيزنطى فى هزيمة الوندال فى هذه المرحلة من القتال وطاردتهم لمسافة ليست بعيدة . وقد واصل الوندال فرارهم حتى وصلوا إلى معسكرهم ، أما القوات البيزنطية فقد عادت إلى أرض المعركة وانشغلت بالغنائم. وإنتهت

---

(١) Procopius, op. cit., p. 229.

(٢) Oman, A History of the Art of War, I, p. 30.

(٣) Baker, op. cit., p. 119.

(٤) Procopius, op. cit., pp. 231—3.

معركة تريكامارون التى تمت على ثلاث هجمات . بسقوط حوالى خمسين قتيلا من قوات بلزاريوس . وحوالى ثمانمائة من القوات الوندالية ، وتشير هذه الأرقام إلى أن القوات الوندالية كانت تفكر فى الفرار قبل أن تفكر فى القتال . وأن القيادة الوندالية لم تستغل ما لديها من إمكانات فى هذه المعركة .

ويلاحظ أن معركة تريكامارون كانت مثل معركة دكيموم فكلاهما كان معركة فرسان وليس للمشاة دور فيها (١) . وكلاهما إنتهى بهزيمة القوات الوندالية . وعلى ذلك يمكن القول أن جليمر لم يستفد من أخطائه فى معركة دكيموم . كما يلاحظ أيضا ان جليمر أخطأ مرة أخرى فى هذه المعركة عندما طلب من رجاله إستخدام السيوف فقط فى القتال . ومثل هذه الطريقة لا تساعد على إيقاف تقدم القوات البيزنطية عن بعد . ولابد من عملية إلتحام بين القوات الوندالية والجيش البيزنطى حتى يمكن التعامل معها بالسيف . ورغم ذلك كله فقد نجحت القوات الوندالية فى صد الهجمة الأولى والثانية للقوات البيزنطية . وكان الاحرى بالقوات الوندالية التى يفوق عددها عدد القوات المهاجمة . ان تطوق القوات البيزنطية التى هاجمتها وتنزل بها الهزيمة . وفى النهاية يمكن القول ان جليمر لم يستخدم القوات الوندالية التى كانت تحت امرته استخداما أمثل فى القتال . كما يبدو أن القوات الوندالية كانت تحارب فى حالة يأس من الانتصار على القوات البيزنطية (٢) .

وعلى أية حال فبعد فرار القوات الوندالية إلى الخلف حيث معسكرها وعودة القوات البيزنطية منتصرة إلى قواعدها ، وكان الوقت بعد الظهر ، لم

---

(١) Oman, op. cit., I, 29.

(٢) Baker, op. cit., pp. 119—120.

يدع بلزاريوس الفرصة تفلت من يديه ، فطلب من قواته الإستعداد لمهاجمة المعسكر الوندالى . ولبت القواد البيزنطية النداء واتخذت طريقها للمعسكر الوندالى . وعندما أحس جليمر باقتراب القوات البيزنطية من الفرسانوالمشاة قفز على ظهر جواده ولاذ بالفرار دون أن يقول كلمة واحدة أو يصدر أى أمر . وقد فر جليمر إلى الغرب فى طريقه إلى مقاطعة نوميديا . وتبعه أقاربه وخدمه والكل فى رعب تام . (١)

وعندما أحس الوندال بفرار ملكهم . وأن قائدهم قد غاب عنهم . ولم يعد هناك ما يتولى قيادتهم (٢) . وأحسوا أن القوات البيزنطية أصبحت على مقربة منهم لاذوا بالفرار تاركين المعسكر على حاله بنسائه وأطفاله يبكون . كما أن الوندال تركوا أيضا كل أموالهم ومتاعهم . وعندما وصلت القوات البيزنطية إلى داخل معسكر الوندالى لم يكن به جندى واحد . وقد طارد البيزنطيون الوندال لبعض الوقت ثم عادوا إلى المعسكر الوندالى وأسروا النساء والاطفال . واستولوا على ما به من ثروات وكانت طائلة ، فهى الثروات التى نهبوها على مدى قرن من الزمان بالإضافة إلى الثروات التى كونوها أثناء حكمهم البلاد (٣) .

ويلاحظ هنا أن المعركة كانت قصيرة الأمد (٤) . لم تتعد نصف يوم ، ولعل إنتصار القوات البيزنطية بهذه الصورة قد أذهل بلزاريوس وانتابه القلق

---

(١) Procopius, op. cit., p. 233,.
(٢) Baker, op. cit., p. 120.
(٣) Procopius, op. cit., pp. 233—5.
(٤) Bury, op. cit., II, p. 137.

على قواته ، وقد عبر بروكوبيوس عن حالة القلق هذه ، وليس هذا بغريب عليه فقد كان يصاحب القوات البيزنطية ويشعر بها . فقد ذكر بروكوبيوس أن بلزاريوس خاف على قواته عندما إندفعت فى فوضى تامة إلى داخل المعسكر الوندالى ، وخشى من قيام الوندال بهجوم مضاد على القوات البيزنطية ، ويضيف أن الوندال إذا قاموا بمثل هذا الهجوم فانه لم يكن بوسع جندى بيزنطى واحد أن ينجو من القتل ويتمتع بغنمائه وأسلابه من نساء الوندال الجميلات . ويرجع شدة قلق بلزاريوس على قواته أن الجنود البيزنطيين قد شربوا ما وجدوه من خمور داخل المعسكر . وبذلك فقد القائد السيطرة عليهم . وقد ظلت القوات البيزنطية على هذه الحالة حتى صباح يوم السادس عشر من ديسمبر حين اعتلى بلزاريوس أحد التلال وأعطى أوامره بانتظام القوات وقد نجح فى السيطرة عليها وقادها إلى قرطاج (١) . ولقد كان فى الفوضى التى إنتابت الجيش البيزنطى عندما اقتحم المعسكر الوندالى فرصة أخرى أضاعها جليمر . فقد كان بوسعه القيام بهجوم مضاد على القوات البيزنطية وإنزال أفدح الخسائر بها . ولكنه لم يغتنم هذه الفرصة (٢) . وبمعنى آخر لم يكن لديه خطة عن مثل هذا العمل . وكان هناك فارق كبير بين القيادة البيزنطية والقيادة الوندالية .

وحول الدور الذى لعبة بلزاريوس فى هذه المعارك يقول المؤرخ بروكوبيوس الذى صاحب الحملة أن المرء لا يستطيع أن يقرر عما إذا النصر كان نتيجة عمل بطولى أم انه ضربة حظ (٣) . ولكن واقع الحال أن

---

(١) Procopius, op. cit., p. 237.
(٢) Bury, op. cit., II, p. 137.
(٣) Procopius, op. cit., p. 271.

بلزاريوس لعب دورا عسكريا بارزا . ولا مفر من القول أن النصر يرجع إلى مهارة بلزاريوس الذى تمكن من جمع قوات مختلفة الاجناس من أجل الحرب الوندالية ، وأن هذه الفرق ضمت عناصر من المعاهدين مثل الهون والهيرول ، وهى العناصر التى أعتبرت نفسها مستقلة عن قوات الامبراطورية ، وأن الامر كان يتطلب تجديد التحالف معها عقب كل معركة . ولم يكن يهمها سوى جمع الاسلاب والغنائم (٢) .

---

(١) Bury, op. cit., II, p. 137.

محاصرة جلمير

وبداية فرض السلطة الامبراطورية

على الأراضي الوندالية

والمهم هنا أن الحرب لم تنته بعد ، فلم يزل جليمر على قيد الحياة فى نوميديا وبإمكانه جمع جيشا من الوندال والبربر ومهاجمة القوات البيزنطية. لذلك كان على بلزاريوس ملاحقة جليمر والقضاء عليه . كما كانت هناك بعض القوات الوندالية التى نجت من القتل تهيم على وجهها فى نواحى أرض المعركة . وقد بدأ بلزاريوس بإعطاء الأوامر إلى رجاله بالبحث عن هؤلاء الوندال ومنهم من كان قد لجأ إلى الكنائس . وقد قامت القوات البيزنطية بتفتيش المنطقة وجمعت كل هؤلاء الوندال بعد ما أعطى لهم الامان واقتديوا جميعا إلى قرطاج (١) . ولعل فى إعطاء الأمان لهؤلاء الوندال قد شجع الكثير منهم الذين لم يلحقوا بالملك جليمر على تسليم أسلحتهم والاستسلام مقابل الحفاظ على أرواحهم .

وفى غمرة هذه الاحداث لم ينس بلزاريوس الملك جليمر الذى كان بامكانه أن يشكل عنصر المقاومة تجاه القوات البيزنطية ، كما أن جليمر هو ملك الوندال وأن وجوده فى نوميديا لا يعنى أن النصر أصبح نهائيا للقوات البيزنطية . لذلك كان على بلزاريوس ملاحقة جليمر وبأسرع وقت ممكن حتى لا يعطيه الفرصة للقيام بعمل ما ضد الجيش البيزنطى . لذلك أصدر بلزاريوس أوامره إلى القائد يوحنا الأرمينى ومعه حوالى مائتين من الفرسان بملاحقة جليمر وأن يواصلوا البحث عنه حتى يجلبوه حيا أو ميتا . وقد لحق بـه بلزاريوس ومعه بعض القوات البيزنطية بعد أن رتب أحوال بقية الجنود داخل قرطاج (٢).

---

(١) Procopius, op. cit., pp. 237—9.

(٢) Ibid., Loc. cit.

ظل يوحنا الأرميني فى المقدمة وخلفه بلزاريوس وجانب كبير من القوات البيزنطية تلاحق الملك جليمر وتبحث عنه ليـــل نهار لمدة خمسة أيام حتى أصبحت على مقربة منه . ولكن حادثة وقعت فى صفوف طلائع الجيش البيزنطى أخرت الاشتباك مع جليمر وقواته . فقد كان يرافق يوحنا الارمينى قائد آخر يدعى يولياريس Uliaris وكان رجلا قويا ولكنه إعتاد الشراب . وفى اليوم السادس من المطاردة حوالى الحادى والعشرين من ديسمبر . كان يولياريس مخمورا . وأثناء مطاردة جليمر ألقى سهما أصاب بالخطأ يوحنا الارمينى فى رقبته أودى بحياته بعد وقت قصير ، وقد حزن عليه الجميع بما فيهم الامبراطور جستنيان عندما علم بموته . أما يولياريس فقد خاف من العقاب ولجأ إلى أحد الكنائس . ولما تقصى بلزاريوس الحقيقة عفا عنه(١) .

كان هذا الحادث سببا فى نجاح جليمر فى الفرار من المنطقة . وظل بلزاريوس يبحث عنه حتى وصل إلى مدينة هيبو فى مقاطعة نوميديا . وهناك علم أن جليمر صعد جبل بابوا Papua . وكان هذا الجبل شديد الإنحدار يصعب تسلقه . كما كانت بعض قبائل البربر المتحالفة مع الملك جليمر تقطن هذا الجبل . وقد تحصن جليمر فى مدينة على سفح الجبل تدعى مديوس Medeus . ولم يكن بوسع بلزاريوس أن يفعل شيئا حتى ينتهى فصل الشتاء (٢) .

لم يكن بوسع بلزاريوس ايضا الانتظار طويلا . فقد كانت أمامه مهام أخرى عليه القيام بها (٣) . لذلك أوكل إلى عناصر الهيرول وكانوا أربعمائة وقائدهم

---

(١) Procopius, op. cit., p. 241.

(٢) Ibid., pp. 241,—3.

(٣) Baker, op. cit., p. 121.

فاراس Pharas لتولى أمر حصار المنطقة التى لجأ إليها جليمر ، ومرجع ذلك إلى قدرة فاراس وحسن خلقه وأنه كان مخلصا للامبراطورية البيزنطية (١) ، هذا بالاضافة إلى ما هو معروف عن شجاعة عناصر الهيرول فى القتال (٢) ، وقد طلب بلزاريوس من فاراس أن يعسكر على سفح جبل بابوا خلال فصل الشتاء ويشدد الحراسة على الجبل ويمنع جليمر من الهرب أو الحصول على أية امدادات (٣) .

وغادر بلزاريوس المنطقة فى طريقه إلى قرطاج . واثناء عودته مر على مدينة هيبو ريجيو حيث كان العديد من الوندال قد لجأوا إلى كنائس المدينة . وقد عرض عليهم بلزاريوس التسليم مقابل الأمان ثم أرسلهم تحت الحراسة إلى قرطاج (٤) . وأثناء وجود بلزاريوس فى المدينة وقعت حادثة تدل على أن بلزاريوس كان رجلا محظوظا (٥) . وترجع هذه الحادثة إلى أنه كان من رجال جليمر كاتب يدعى بونيفاس ولم يكن وندالياً بل كان من مواطنى بيزاسيوم . وكان هذا الرجل من المقربين المخلصين للملك الوندالى ،وعندما بدأت الحرب وضع جليمر كنوز مملكته فى أحد السفن وأوكل إلى بونيفاس بحراستها وأمره أن يرسو بالسفينة فى ميناء هيبوريجيوس . وإذا وجد أن الحرب ليست فى صالح الوندال فعليه الابحار إلى أسبانيا حيث ثيوديس ملك القوط الغربيين . وهناك سيجد الأمان لنفسه وللثروات . ولما وجد بونيفاس أن الوندال هزموا فى تريكامارون وما أعقب ذلك من أحداث ،إستعد للابحار

---

(١) Procopius, op. cit., p. 243.
(٢) Paul The Deaçon, op. cit., p. 36.
(٣) Procopius, op. cit., p. 243.
(٤) Ibid., Loc. cit.,
(٥) Baker, op. cit., p. 121.

إلى أسبانيا ، ولكن عاصفة شديدة منعته من الإقلاع . وقد حاول اللجوء إلى أحد الجزر أو أحد الأماكن القريبة الآمنة ولكن البحارة عجزوا عن ذلك لشدة الرياح (١) .

وعند هذه المرحلة إعتقد بونيفاس أن الله يرغب فى تسليم مامعه من كنوز إلى البيزنطيين . ولما كانت السفينة بعيدة عن الشاطىء فقد طلب من رجاله الاتجاه نحو الشاطىء الذى بلغوه بصعوبة كبيرة . وفى الوقت الذى كان فيه بلزاريوس فى مدينة هيوريجيو أرسل إليه بونيفاس يعرض عليه تسليم مامعه مقابل الأمان له ولرجاله وترك جليمر يذهب حيث يشاء ومعه ما يملك . وقد سر بلزاريوس لهذه الاخبار ولكنه لم يقطع على نفسه عهدا بشىء . وأرسل رجاله واستولوا على السفينة وأعطى الأمان إلى بونيفاس ومن معه . وترك له أمواله الخاصة وجانبا من أموال جليمر (٢) . وقد عثر بالقرب من منطقة فلتر Feltre فى إيطاليا فى عام ١٨٧٥ م على وعاء فضى عليه نقش باسم جليمر ملك الوندال والآلان . ويبدو أن هذا الوعاء كان ضمن كنوز الوندال وقد أهداه بلزاريوس إلى فاراس قائد الهيرول الذى نقله إلى ايطاليا فى مرحلة لاحقة (٣) .

عاد بلزاريوس إلى قرطاج وخطط لارسال نبلاء الوندال الذين أسرهم فى المعارك السابقة إلى القسطنطينية فى ربيع ٥٣٤ م . وحتى يحين هذا الموعد أعد أسطوله للسيطرة على كل جزر البحر المتوسط التابعة للوندال . وبدأ بأرسال القائد كيرل Cyril إلى سردينيا ومعه قوة كبيرة ومعهم رأس

(١) Procopius, op. cit., p. 245.
(٢) Ibid., p. 247.
(٣) Bury, op. cit., II, p. 137n.2.

تزازون لأن سكان الجزيرة لم يصدقوا ما حدث للوندال فى تريكامارون ، وعندما ذهب كيرل إلى الجزيرة عرض عليهم رأس تزازون ، وفى النهاية نجح فى السيطرة على الجزيرة وفرض عليها الضرائب ، كما أرسل كيرل جانبا من أسطوله إلى جزيرة كورسيكا Corisca ؛ ذلك بناء على تعليمات سابقة من بلزاريوس للسيطرة عليها (١) .

ووجه بلزاريوس شعبة أخرى من قواته تولى قيادتها قائد يدعى يوحنا إلى مدينة قيصرية Caesarea الواقعة على الساحل فى مقاطعة موريتانيا ، وكانت مدينة كبيرة قديمة مأهولة بالسكان . واتجه جانب آخر من الأسطول البيزنطى إلى مدينة سبته ؛ وإلى جزيرة ماجوركا Majorica وجزيرة مينوركا Minorica وجزيرة إيبوسا Ebusa ، وقد نجحت القوات البيزنطية فى الاستيلاء على هذه الأماكن ووضعتها تحت السيادة البيزنطية (٢) ، وهكذا نجح بلزاريوس فى ضمان عدم قدوم أية نجدة إلى الوندال من هذه الأماكن ، وتأكيد سلطة الامبراطورية على هذه الجزر والقلاع .

وعمل بلزاريوس أيضا على تأكيد سلطة الامبراطورية على بعض الاماكن البعيدة عن العاصمة وكانت ضمن الممتلكات الوندالية (٣) . فقد أرسل بلزاريوس بعض القوات البيزنطية إلى مدينة طرابلس الواقعة فى أقصى الشرق لمساندة الثوار الذى ثاروا على حكم الوندال بقيادة بودنتيوس وتاتيموث حيث كان البربر يحاصرونهم . وقد نجحت القوات البيزنطية فى السيطرة على الموقف داخل طرابلس ، وقوت من مركز الامبراطورية فى المنطقة (٤) .

---

(١) procopius, op. cit., p. 249
(٢) Ibid., Loc. cit.,
(٣) Bury, op. cit., II, p. 137.
(٤) Procopius, op. cit., pp. 249—251.

ولم ينس بلزاريوس مدينة ليليبيوم وهى الميناء التجارى الهام الذى يقع فى غرب جزيرة صقلية . وقد قدم ملك القوط الشرقيين ثيودريك هذه المدينة بائنة لابنته أمالا فريداعندماتزوجت من الملك الوندالى الأسبق ترا سامونـد .
وقد أرسل بلزاريوس بعض قطع الأسطول البيزنطى للسيطرة عليها . ولكن المسئولين القوط رفضوا ذلك . فعادت السفن البيزنطية إلى قرطاج . وغضب بلزاريوس لهذا التصرف وأرسل اليهم يوضح وجهة نظره حول ملكية المدينة . كما رد القوط على بلزاريوس يفندون مزاعمه فى هذه الملكية .
وقد أفاض المؤرخ بروكوبيوس فى حجج بلزاريوس ورد القوط عليها . وعلى أية حال وفى النهاية إحتكم القوط إلى الامبراطور جستنيان فى هذا الامر (١)
والمعروف أن القوات البيزنطية قامت بمهاجمة دولة القوط بأكملها بعد وقت قصير من سقوط دولة الوندال فى شمال افريقيا . وقد نجحت فى القضاء عليها بعد حروب طويلة .

(١) Ibid., pp. 251—5.

إستسلام جليمر ونهاية دولة الوندال

مارس ٥٣٤ م

سبق أن أوضحنا أن بلزاريوس عهد إلى قائد الهيرول فاراس ورجاله بمهمة محاصرة جليمر فى بابوا . وعاد بلزاريوس حيث كانت هناك أعمال أكثر أهمية فى إنتظاره . وبعد فترة سئم فاراس من طول الحصار خاصة فى أيام الشتاء الباردة ، واعتقد أن بوسعه الصعود إلى حيث جليمر وأن البربر لا يقدرون على الوقوف فى طريقه . لذلك أعد قواته وسلحهم إستعدادا للصعود ولما أحس البربر بذلك قاوموا فاراس ورجاله . ورغم ما بذله الهيرول من بسالة فى محاولة للصعود . إلاأن مهمة البربر كانت سهلة لصعوبة عملية تسلق الجبل ، فى النهاية إرتد الهيرول بعد ما قتل منهم حوالى مائة وعشرمن الرجال ، ولم يحاول فاراس بعد هذه المحاولة أن يصعد مرة أخرى إلى الجبل (١) .

لم يكن أمام فاراس سوى تشديد الحراسة على المنطقة حتى لا يهرب جليمر أو تصل إليه إمدادات أو مؤن من أى جانب . وقد أمدنا المؤرخ بروكوبيوس ببعض المعلومات الهامة فى مرحلة الحصار هذه ، وقد جاءت عرضا فى حديثه عن المحنة التى عاشها جليمر ومن معه فى هذه الفترة . فقد ذكر أنه كان مع جليمر بعض أقاربه وبعض نبلاء الوندال وكانوا يعيشون مع البربر . وفسر المعاناة التى التى عاناها هؤلاء بالقياس إلى البربر أن نبلاء الوندال بعد أن سيطروا على الشمال الافريقى إعتادوا على إستخدام الحمامات والتمتع بأشهى المأكولات التى تخرج من الأرض والبحر ، وأنهم اعتادوا لبس الذهب والملابس الحريرية التى تأتى من الصين . وانهم يقضون وقتهم فى الصيد وحلقات السباق وفى المسارح وأماكن اللهو ولديهم راقصات ومهرجين ، وكل وسائل الرفاهية التى تسمع كالموسيقى . وكان معظم الوندال

---

(١) Procopius, op. cit., p. 255.

يسكنون فى منازل مزودة بالمياه وحولها البساتين . وانهم استمتعوا بكل شيء (١) .

وعقد بروكوبيوس مقارنة بين هذه الحياة وبين الحياة التى يحياها البربر . فقد ذكر أن البربر يعيشون فى أكواخ فى الصيف والشتاء ولا يتأثرون بالبرد أو حرارة الشمس ، وانهم يفترشون الصوف وينامون على الأرض .ويرتدون عباءة ثقيلة وقميص خشن على مدار السنة . ولا يشربون الخمر . وأنهم يطحنون القمح والشعير بأنفسهم ويخبزونه بمعرفتهم (٢) . وبهذه المقارنة التى قدمها لنا المؤرخ بروكوبيوس يكون قد أوضح لنا شدة المعاناة التى عاناها نبلاء الوندال فى فترة الحصار . كما قدم لنا جانبا عن بعض الجوانب الاجتماعية والحياة التى عاشها الوندال والبربر فى هذه المرحلة .

وقد أحس فاراس بالمعاناة التى يحياها جليمر وأفراد اسرته فى بابوا ، لذلك كتب إليه يعرض عليه تسليم نفسه مقابل الأمان وحسن المعاملة . قد بدأ فاراس خطابه إلى جليمر موضحا أنه من البرابرة ولم يتعودا الكتابة أو الخطابة ، وأضاف أن جليمر دمر نفسه وعائلته . وانه يحاول الهرب من الأسر ولكن دون جدوى لأنه الآن أسير البربر . والافضل له أن يكون أسيرا للإمبراطور على أن يكون ملكا مع البربر فى جبل بابوا . وطمأن فاراس جليمر وأوضح له أن الإمبراطور جستنيان يرغب فى أن يدرج إسمه فى عضوية مجلس السناتو وأن يمنحه لقب بطريق ، ويوهبه أرضا فسيحة وكمية كبيرة من المال . وأن بلزاريوس نفسه يضمن له ذلك (٣) .

---

(١) Procopius, op. cit., p. 257.

(٢) Ibid., pp. 257—9.

(٣) Ibid., p. 261.

وعندما تسلم جليمر هذا الخطاب بكى بمرارة . وأجاب على فاراس مصدرا خطابه بشكره العميق على هذه النصائح . وأوضح أنه من الصعب أن يكون أسيرا لعدو سبب له الأذى وأرسل جيشا لمحاربته . وتمنى أن يصيب الامبراطور جستنيان ضرر لا يتوقعه . واكتفى جليمر بذلك . وفى نهاية الخطاب طلب من فاراس ان يرسل إليه قيثارة ورغيف خبز وقطعة إسفنج حتى يصلى من أجله (١) .

ولما تسلم فاراس الخطاب لم يفهم المقصود من إرسال هذه الأشياء . ولكن حامل الرسالة شرح له مقصودها . وقد ذكر الرسول أن جليمر يريد رغيف الخبز لأنه يريد أن يستمتع بالنظر إليه . لأنه منذ أن صعد إلى بابوا لم ير رغيفا مخبوزا . أما قطعة الاسفنج فهى مطلوبة لأن جليمر مصاب بالتهاب فى إحدى عينيه لعدم غسل وجهه . ويريد أن يمسح بالاسفنجة ما حول عينيه من إفرازات . أما القيثارة لأن جليمركان عازفا ماهرا.وقد كتب قصيدة تتعلق بسوء طالعه وهو متحمس لغنائها لمن حوله وهو يعزف على القيثارة(٢).

وعندما سمع فاراس ذلك إهتزت مشاعره . وندب حظ الوندال وما أصابهم . وأرسل إلى جليمر ما طلبه . ولكنه لم يغفل عن حراسة المنطقة ، بل أنه شدد الحراسة أكثر من ذى قبل (٣) .

ومرت ثلاثة أشهر على الحصار (٤) . ولما كانت معركة تريكامارون قد وقعت فى منتصف ديسمبر ٥٣٣ م ، يضاف إليها ستة أيام أو سبعة قضيت

---

(١) Ibid., p. 263.

(٢) Ibid., Loc. cit.

(٣) Ibid., pp. 263—5.

(٤) Ibid., p. 265.

فى مطاردة جليمر . فيكون الوقت فى هذه المرحلة هو العقد الأخير من مارس ٥٣٤ م . ومعنى ذلك أن فصل الشتاء قد انتهى وبدأ فصل الربيع . ومع مرور الأيام ازداد خوف جليمر من وصول القوات البزنطية إليه فى أى لحظة ، كما أن طول الحصار قد أثر كثيرا فى صحة الاطفال الذين معه ، وأصبح الجميع فى حالة كرب (١) .

ولكن حادثة وقعت فى محل إقامة جليمر بدلت الأوضاع تماما . فقد شاهد جليمر أحدى نساء البربر وهى تقوم بعمل كعك . وقد القت بها على رماد الفرن وهذه عادة من عادات البربر . وكان بجانب الفرن طفلان أحدهما ابن المرأة التى تقوم بإعداد الكعك والآخر من نبلاء الوندال وقريب للملك جليمر . وقد تسابق الطفلان فى الحصول على كمكة وهى ساخنة ، ونجح الطفل الوندالى فى الإمساك بها ووضعها فى فمه رغم ما علق بها من رماد . ولكن الطفل الآخر أمسك الطفل الوندالى وضربه وأجبره على اخراج الكمكة من فمه (٢) .

هزت هذه الحادثة مشاعر الملك جليمر . وكان بطبعه رجلا رقيق المشاعر ، فهو الرجل الذى إنهار عندما رأى جثة أخيه فى أرض معركة دكيموم ، وهو الرجل الذى ينظم القصائد ويغنى ويعزف على القيثارة . ولاشك أن المعاناة التى عاشها فى الجبل مع البربر كان لها أثرها البالغ على هذه الشخصية الرقيقة . وكانت حادثة الكمكة هى القشة التى قصمت ظهر البعير .

---

(١) Ibid., p. 263.

(٢) Ibid.,p.267.

لم يعد جليمر يحتمل أكثر من ذلك فكتب إلى فاراس يخبره أن النصائح التى ارسلها اليه قد اختمرت فى نفسه . وأن الانسان لا يستطيع أن يقاوم الواقع . وطلب الأمان لنفسه ولمن معه حسب رغبة الإمبراطور . وفى هذه الحالة يسلم نفسه وأقاربه ومن معه من الوندال . (١)

وعندما تسلم فاراس خطاب جليمر أرسله على الفور إلى بلزاريوس وطلب أجابة سريعة عما يجب عمله حيال الملك جليمر . ولما كان بلزاريوس يريد أن يقتاد جليمر حيا إلى القسطنطينية . فقد سر كثيرا لهذا النبأ . لذلك بادر بارسال القائد كبريان إلى بابوا ومعه بعض القواد الآخرين وطلب منهم أن يذهبوا إلى جليمر ويقسمون أمامه على ضمان سلامته ومن معه ، وأن يخبروه بأنه سيشرف بمقابلة الامبراطور . وعندما وصل هؤلاء إلى بابوا قابلوا فاراس الذى إقتادهم إلى مكان حيث قابلوا جليمر . وقد قدم هؤلاء الأمان للملك فسلم نفسه واستسلم من معه . وإتجه جليمر فى صحبة رجال بلزاريوس إلى قرطاج حيث قابله بلزاريوس بعد أن إنتظر قليلا فى ضاحية أكلاس Aclas . وكان جليمر يضحك وهو فى هذه الحالة (٢) . ولعل ضحكه هذا من سخرية القدر الذى إنتهى به إلى هذا الحال .

أرسل بلزاريوس تقريرا إلى الإمبراطور جستنيان بأن جليمر أصبح فى قبضته ويسأله الإذن بالحضور إلى القسطنطينية ومعه أسيره . وحتى يحين موعد الرحيل تحفظ بلزاريوس على أسيره بالطريقة اللائقة به كملك (٣) .

ولقد أوجز وفلسف بروكوبيوس كل أحداث مملكة الوندال بطريقة

---

(١) Ibid. ,p. 267

(٢) Ibid., pp. 267—9.

(٣) Ibid., p. 269.

تدل على عبقرية مؤرخ عاش فى هذه المرحلة من الزمان . فقد ذكر أن احداثا كثيرة قد وقعت منها ما كان غير متوقع ومستحيلا . وأن ما حدث يدعو إلى التساؤل والتعجب . فأين أيام الملك جيزريك ومملكته القوية . لقد ذهب كل هذا فى وقت قصير وبخمسة آلاف من الفرسان باعتبارهم الذين تحملوا عبء المعارك كلها . وسواء حدث ذلك بالصدفة أو بالشجاعة . فان ما حدث يدعو للاعجاب (١) .

هكذا إنتهت الحرب الوندالية واستسلم جليمر وسقطت دولة الوندال بعد أن حكمت الشمال الافريقى من طرابلس حتى سبتة ما يزيد عن مائة عام (٤٢٨ - ٥٣٤ م) (٢) . وسطع إسم القائد بلزاريوس باعتباره قائدا للحملة التى قوضت أركان المملكة الوندالية . ولكن بعض الحاقدين حاولوا تشوية هذا النصر ، وتلطيخ سمعة هذا القائد العظيم . فقد كتب بعض ضـــباط بلزاريوس إلى الامبراطور جستنيان بأن بلزاريوس يعمل على تنصيب نفسه ملكا على شمال أفريقيا وأن يصبح خليفة للملك الوندالى جليمر . وحتى يطمئن الوشاه من وصول هذه المعلومة إلى الإمبراطور كتبوا هذا المعنى على لوحين . وعملوا على أن يرسل كل لوح فى سفينة على حدة حتى إذا ضاع أحدهما وصل الآخر . وقد أبحرت إحدى السفن ووصل اللوح إلى الإمبراطور ، أما اللوح الآخر فقد إكتشف أمره فى ميناء قرطاج قبل إبحار السفينة الثانية ، وقد أعتقل المتورطين فى هذا الحادث واعترفوا بجريمتهم (٣) . وتذكرنا هذه الحادثة بما

(١) Ibid., p. 271.

(٢) Oman, The Byzantine Empire, p. 85.

(٣) Procopius, op. cit., pp. 271—3.

حدث للقائد بونيفاس و كان سببا فى إستدعائه للوندال وعبورهم للشمال الافريقى وتأسيس دولتهم .

لم يصدق الامبراطور جستنيان الأخبار التى وصلت اليه ، فأرسل إلى قرطاج ليبلغ بلزاريوس ويخبره بالبقاء فى قرطاج . أو العودة إلى القسطنطينية ومعه أسيره الملك الوندالى جليمر وبقية الاسرى من الأمراء الوندال (١) .

وما كان يعنى جستنيان فى هذه المرحلة هو إعادة تنظيم الحكم فى الشمال الأفريقى ، فلقد أصبح هذا المكان جزء من الامبراطورية البيزنطية بعد ما زالت الدولة الوندالية . وإختفاء المذهب الأريوسى . لذلك أرسل جستنيان القائد سولمون Solomon فى ابريل عام ٥٣٤ م (٢) . ليتولى حكم الولاية الأفريقية إذا عاد بلزاريوس إلى القسطنطينية .

إختار بلزاريوس العودة إلى العاصمة البيزنطية ومعه الملك جليمر .وبقية الاسرى من الأمراء الوندال . ولكنه تأخر بعض الوقت لقيام بعض قبائل البربر بالثورة ضد الجيش البيزنطى بعد أن كان على وشك الرحيل (٣) . وكان وصول بلزاريوس إلى العاصمة البيزنطية فى خريف العام نفسه ، أى بعد أكثر من خمسة عشر شهرا منذ رحيله مع الحملة . وكانت مناسبة تستحق الذكرى للنتائج التى جنتها هذه الحملة ومكافأة القائد التى قادها (٤) .

وقد إستقبل بلزاريوس بالتشريف الذى يليق به . وأقيم موكب كبير على الطريقة الرومانية القديمة مثل مواكب الامبراطور تيتوس Titus ٧٩ —

(١) Ibid., p. 271.

(٢) Baker, op. cit., pp. 126—7.

(٣) عن ثورات البربر راجع : Procopius, op. cit., pp. 273—9.

(٤) Baker, op. cit., p. 127.

٨١ م ، والامبراطور تراجان Trajan (٩٨ – ١١٧ م) وغيرهم (١) ، وهي مواكب أقيمت في روما ، أما الموكب الذى أقيم للقائد بلزاريوس فكان أول موكب تشهده العاصمة البيزنطية ولم يقام حتى في روما منذ حوالى خمسة قرون (٢) .

وإختلفت مسيرة الموكب عن التقاليد الرومانية القديمة . فقد كان الموكب في يناير ٥٣٥ م وبدأمن بيت بلزاريوس سيرا على الاقدام ثم سار عبر شوارع المدينة الرئيسة حتى وصل إلى الهيدروم Hippodrome ثم إلى القصر الامبراطورى . وكان يسير خلف الموكب الغنائم الوندالية والأسرى. وكان في مقدمة الغنائم العربة الوندالية الملكية . والعديد من الاحجار الكريمة وأكواب الشراب الذهبية . والكثير من كنوز الملك جيزريك التي سلبها من روما . منها بعض الاحجار الكريمة التي استولى عليها تيتوس لما دمر مدينة بيت المقدس (٣) ، عام ٧٠ م . عندما كان قائداً للإمبراطور فسباسيان Vaspasian (٦٩ – ٧٩ م) (٤) .

وخلف هذه الاسلاب سار الملك جليمر بشعره الطويل واضعا عباءة على كتفيه ومعه عائلته والعديد من الوندال (٥) . وكان هناك أيضا سفراء لبعض الدول كان بينهم سفراء عن الامبراطورية الفارسية (٦) . وعندما وصل الموكب إلى الهيدروم كان الإمبراطور جستنيان ومعه زوجته ثيودورا

---

(١) Procopius, op. cit., p. 279.
(٢) Baker, op. cit., p. 127.
(٣) Procopius, op. cit., p. 281.
(٤) Josephus, The Jewish war, pp. 361 ff.
(٥) Procopius, op. cit., p. 281.
(٦) Zahariah of Milytene, op. cit., p. 263.

Theodora ، وقد أحضرت معها أولاد إلدريك وكل عائلته . وفى هـذا المكان ردد جليمر آية وردت فى التوراة وقال (باطل الأباطيل الكل باطل)(١)

وعندما إقترب جليمر من مقعد الامبراطور خلعت عنه العباءة وأجبر على السجود أمامه وتقديم فروض الولاء والطاعة ، وإنتهى الحال بالملك جليمر بأن منح منزلا فى ضاحية جالاتا Calatia التى تقع إلى الشمال من القرن الذهبى — وسمح له بالاقامة فيه مع عائلته . ولم يتمكن الامبراطور جستنيان من الإنعام عليه بلقب بطريق كما تم الاتفاق من قبل عندما سلم نفسه فى جبل بابوا ، لأن جليمر ظل على المذهب الأريوسى (٢) .

وبهذا المشهد الذى أظهر عظمة الامبراطور جستنيان وقائده بلزاريوس وأذل به الملك جليمر . تنتهى الأحداث الخاصة بمملكة الوندال فى الشمال التى دامت ما يزيد عن قرن من الزمان (٣) . وهى الدولة التى بدأت بخطأ وقع فيه القائد بونيفاس عندما تحالف مع جيزريك وساعده على العبور من أسبانيا إلى الشمال الأفريقى . وإنتهت بعدة أخطاء وقع فيها كل خلفاء الملك جيزريك كان آخرها الاخطاء العسكرية التى وقع فيها الملك جليمر . وستظل الامبراطورية البيزنطية تحكم الشمال الافريقى حتى الفتح العربى الاسلامى (٤) .

وفى ختام هذه الدراسة يمكن القول أن دولة الوندال التى وضع أساسها الملك جيزريك ظلت دولة قوية مرهوبة الجانب طالما قام حكامها بتحصين

---

(١) الجامعة ١ — ٢ ، راجع أيضا Procopius, op. cit., pp. 281—2.

(٢) Procopius, op. cit., p. 283.

(٣) Paul the Deacon, op. cit., p. 46.

(٤) Theophanes, op. cit., pp. 43—51, 67—8.

المدن والاهتمام بالاسطول . ولنقف وقفة قصيرة حول الاسطول وأهميته لكل من حكم الشمال الافريقى ، ويمكن القول أن الفينيقيين لم يتمكنوا من السيطرة على هذا المكان تجاريا وعسكريا إلا باسطولهم القوى . وكذلك الوندال والأغالبة فى مرحلة لاحقة . ومن الواضح أن اتصال سكان الشمال الأفريقى بالجنوب الافريقى كان محدودا جدا بسبب الصحراء فى هذه المرحلة من تاريخ العصور الوسطى . أما الاتصال بالشمال أى جنوب أوربا . فلا يتأتى إلا من خلال أسطول ليسهل عملية الاتصال عبر البحر المتوسط . وفى الوقت نفسه كان على هذا الاسطول حماية الشمال الافريقى من أطماع الطامعين . وهنا كان التفوق البحرى لمن حكم هذا الاقليم موضوع فى غاية الأهمية .

وفيما يتعلق بالوندال فقد أهمل خلفاء جيزريك تحصينات المدن والاهتمام بالاسطول . وكان فى ذلك نقطة الضعف التى سهلت على الإمبراطورية البيزنطية القضاء على دولة الوندال . بالاضافة إلى حياة الترف التى عاشها الوندال فى المراحل الاخيرة للدولة . وسوء معاملتهم للسكان الاصليين . ومعاداة العالم المسيحى للمذهب الأريوسى الذى اعتنقه الوندال .

ملحـــق

حول تحقيق تاريخ إبحار الحملة البيزنطية من القسطنطينية

لقد قدم لنا المؤرخ بروكوبيوس مادة طيبة حول موضوع الدراسة ، ولكن يؤخذ عليه عدم ذكر تاريخ الاحداث الا فيما ندر ، ويحاول الباحث في هذا الملحق تحقيق تاريخ إبحار الحملة من القسطنطينية من المعلومات التى قدمها لنا المؤرخ نفسه .

أورد المؤرخ بروكوبيوس أن الابحار تم فى الانقلاب الربيعى تقريبا من السنة السابعة لحكم الامبراطور جستنيان أى فى ٢١ مارس ٥٣٣ (١) .

ذكر المؤرخ نفسه ان الحملة وصلت إلى كابوتفادا بعد ثلاثة أشهر من الابحار (٢) .

تحدث ايضا عن معركة تريكامارون وذكر انها وقعت فى حوالى منتصف ديسمبر ٥٣٣ م . وبعد ثلاثة أشهر تقريبا من دخول الجيش البيزنطى مدينة قرطاج (٣) .

وعلى ذلك يكون دخول الجيش البيزنطى إلى قرطاج فى منتصف سبتمبر ٥٣٣ م . ويكون وصول الجيش ايضا إلى كابوتفادا قبل هذا التاريخ بحوالى أسبوعين أو ثلاثة وهى المدة التى استغرقتها مسيرة الجيش من كابوتفادا إلى قرطاج . وإذا استبعدنا ثلاثة أشهر لنصل إلى تاريخ إقلاع الاسطول من القسطنطينية نصل إلى العقد الاخير شهر يونيه حيث الانقلاب الصيفى وليس الانقلاب الربيعى . وعلى ذلك يكون تاريخ الابحار هو حوالى ٢١ يونيه ٥٣٣ م .

---

(١) Procopius, op. cit., p. 111.

(٢) Ibid., p. 141.

(٣) Ibid., p. 235.

قائمة بالمصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

Augustine (st.),

— The city of God. Penguin. 1972.

— Epistolulae. Ed. Glodbacher. 4 Vols. 1885—1911.

Ammianus Marcellinus,

Chronicle. tran. John C. Rolfe, 3 Parts London. 1935.

Constantine Porphyrogenitus,

De Adminstrando Imperio. tran. R.J.H. Jenkins. Dambarton Oaks, Weshington, 1967.

Gr egory of Tours,

The History of Franks. Penguin, 1974.

Jesephus,

The Jewish War. Penguin. 1969.

Jordanes,

The Visigothic conquest. in Cantor. The Medieval World, London, 1963 pp. 69—73.

Paul The Deacon

History of the Lombard. tran. W.D. Foulke, Pennsylvania. 1974.

Theophanes

Chronicle. tran. Harry Turtledove. Pennyalvania 1982.

Procopius

The Wandalic War. tran. Dewing. Cambridge 1968.

Zacariah of Mitylene

Syriac chronicle. tran. F.J., Hamilton. London. 1899.

ثانياً : المراجع :

Baker, G.,

Justinian, London. 1932.

Bryce, J.,

The Holy Roman Empire. London, 1915.

Bury, J.,

History of The Later Roman Empire. 2 Vols, New York 1985.

Diehl, Ch.,

L'Afrique Byzantine. Paris, 1896.

Duruy, V.,

The History of the Middle Ages. New York. 1891.

Finlay, G.,

History of Greece. 7 Vols. Oxford. 1877.

Fisher, H.,

A History of Europe. Vol I. London. 1935.

Freeman, E.,

Historical Geography of Europe. London, 1903.

Gibbon,

The History, of the Dectine and Fall of the Roman Empire. 7 Vols. London. 1925.

Frood, E.,

The Byzantine Empire. London, 1911.

Helefe, J.H.,

A History of the councils of the church. Vol III, Edinburgh. 1883.

Julien, A.,

Histoire de L'Afrique du Nord. Paris 1951.

Kaegi, W.,

Byzantium and the Decline of Rome. New York, 1968.

La-Mont. J.,

The World of the Middle Ages. New York., 1949.

Lot, F.,

The end of the Ancient World and the Beginnings of the Middle Ages. London. 1931.

Mckillian, A.,

A chronicle of The Popes. London, 1912.

Moss.

The Brith of the Middle Age. Oxford. 1935.

Oman, Ch.

A History of the Art of War in the Middle Ages. Vol. I, London. 1924.

Ostrogorsky

History of Bygantine State. Oxford. 1956.

Robinson,

Ancient History. New York. 1965.

Stephenson, C.

Mediaeval History. New York. 1951.

Thompson, J.W.

History of the Middle Ages. London., 1931.

Vasiliev, A.A.

History of the Byzantine Empire 2 Vols. Madison. 1929.

جدول (١)

الأباطرة البيزنطيون حتى نهاية حكم جستنيان الأول

قسطنطين الأول	٣٠٦ – ٣٣٧ م
قنسطنتيوس	٣٣٧ – ٣٦١
جوليان	٣٦١ – ٣٦٣
جوفيان	٣٦٣ – ٣٦٤
فالنز	٣٦٤ – ٣٧٨
ثيودوسيوس الأول	٣٧٩ – ٣٩٥
أركاديوس	٣٩٥ – ٤٠٨
ثيودوسيوس الثانى	٤٠٨ – ٤٥٠
مارقيان	٤٥٠ – ٤٥٧
ليو الأول	٤٥٧ – ٤٧٤
زينون	٤٧٤ – ٤٩١
أناستاس	٤٩١ – ٥١٨
جستن الأول	٥١٨ – ٥٢٧
جستنيان الأول	٥٢٧ – ٥٦٥

جدول (٢)

أباطرة الامبراطورية الرومانية الغربية

هونوريوس	٣٩٥ – ٤٢٣ م
فالنتنيان الثالث	٤٢٥ – ٤٥٥
بترونيوس مكسيموس	– – ٤٥٥
أفيتوس	٤٥٥ – ٤٥٦
ماجوريان	٤٥٧ – ٤٦١
ليبيوس سيفيروس	٤٦١ – ٤٦٥
أنثميوس	٤٦٧ – ٤٧٢
أولبريوس	– – ٤٧٢
جليسريوس	٤٧٣ – ٤٧٤
يوليوس نيبتوس	٤٧٤ – ٤٧٥
روملیوس أوغسطولوس (خلع)	٤٧٥ – ٤٧٦

ونهاية الامبراطورية الرومانية فى الغرب

جدول (٣)

ملوك الوندال فى شمال أفريقيا

جيسريك	٤٢٩ – ٤٧٧ م
هونريك	٤٧٧ – ٤٨٤
جونثاموند	٤٨٤ – ٤٩٦
تراساموند	٤٩٦ – ٥٢٣
هلدريك	٥٢٣ – ٥٣١
جليمر	٥٣١ – ٥٣٤

كشاف الأعــلام والمدن

المحتوى

عظيم شكرى وتقديرى للمسؤلين وكافة العاملين بمطبعة السفير

تم بحمـــد الله

طبـــع بمطابـــع جريـــدة السفير

٣٠٠ قرش ١٢٢٦٤٣ / ١

دار المعــارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القــاهرة
منطقة الإسكندرية ٤٢ ش سعد زغلول - ٢ ميدان التحرير (المنشية)